أشرف أبو الخير – 2011

إهداء

هم سبب من أسباب كتابة تلك الرواية .

هم سبب من أسباب الفرحة فى عام كان يملؤه الحزن .

هم أيقونة مصرية بلا جدال ، بلا زيف ، بلا نفاق .

هم مؤمنون ، مصدقون ، عطاؤون ، حماسيون .

هم ... مجموعة (Ultras White Knights) .

و إليهم أهدى صفحات تحمل اسمهم .

أشرف

[يقول كبار مشجعى الزمالك فى البلد]

● ●

*** لو ابنى طلع أهلاوى .. هقتله .**
(المنتج والممثل سامى العدل)

*** لو الزملكوية خلصوا من البلد ومفضلش غير واحد هيكون.. أنا .**
(الإعلامى القدير / عمرو أديب)

*** الأهلي هو (نجم الشباك) ولكن هل تستطيع أن تنكر محبتك لمحمود المليجي واستيفان روستي وعبدالفتاح القصري..**
(الكاتب الصحفى / عمر طاهر)

*** حمــرا .**
(الكاتب الصحفى الكبير / إبراهيم عيسى)

*** إحنا الزمالك إحنا ... واللا نسيتوا !!**
(جماهير الزمالك العظيمة)

الشـــوط الأول

أول ربع ساعة

« جس النبض »

" رص قص يا مهدى ".

أقولها هاتفا وأنا أستعد للجلوس على ذلك الكرسى المتراخى .. المتهالك .. الذى ينذرك بكارثة إذا ما جلست عليه للحظة .. لكننى أجلس بثقة عمياء .. ثقة اكتسبتها بحكم التعود والمودة القائمة بينى وبين كل كراسى هذا المقهى الرحب، الذى يرقد شامخا منذ سنوات فى قلب هذا الحى الفقير النابض بالحياة (ميت عقبة) ، بجوار " الراجل المشهور بتاع السمك " ... وغالبا ما يحتل الكرسى الذى أجلس عليه ركنا معينا، يسمح لى بأن أكشف المقهى من كافة جوانبه، ظهرى للحائط لأشعر بالمزيد من الأمان والثقة، وجهى للشارع، لأتابع ما يجرى داخل المقهى وخارجه ... وفى الغالب أقول هذه الجملة يوميا .. بنفس الإيقاع ... بنفس الحزم .. فى نفس الوقت .. لذات الرجل ... مع اختلاف درجة الحماس طبقا لليوم، ودرجة الحماس تتحدد بالقطع طبقا لحالتى النفسية بعد خروجى من النادى ... والتى تتحدد بدورها طبقا لما أشاهده من خطط تنفذ على أرضية الملعب الشامخ العريق الموجود فى نفس مكانه منذ زمن ... ملعب حلمى زامورا .. الذى يقع جغرافيا فى قلب نادى الزمالك ... نادى الأمراء ... النادى الملكى كما يُطلق عليه محبوه ومريدوه فى كافة أرجاء الأرض ... النادى الذى بدأ (مختلطا) نسبة إلى أول أسماءه ، و صار بمرور الأعوام يجمع بين جدرانه خليطا متميزا من المواهب اللامعة ...

نادى القرن الحقيقى (بالأرقام والإحصائيات لا بأبواق الإعلام المخدرة) ... النادى الذى أنشأه الخواجات، وأضفى المصريون عليه صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم، فأصبح نادى المبادئ الراسخة ... النادى الذى اقترب فى تلك الفترة من عامه المائة و هو شابا، فتيا، كما كان دوما ... النادى الذى أُتهم رجاله دوما بالعصبية ... ولم يتم بعد اتهام أحدهم بالسرقة ... النادى الذى أُتهم لاعبيه دوما بالتراخى و لم يتم بعد اتهام أحدهم بانعدام الموهبة .

" أيوة يا شيماء " .

أرد بعصبية وحزم كالمعتاد على شيماء ... تلك الفتاة التى تقبع فى حياتى – رغما عنى - كجدارية عملاقة يصعب زحزحتها من داخلى، الفتاة التى تهاتفنى دوما فى مثل ذلك الوقت ... لتسألنى ذات السؤال والذى يبدو محفورا على لسانها :

" انت فين يا بيبى ؟ " .

لأرد عليها ذات الرد المعتاد و الذى حُفر فعلا على لسانى :

" فى القهوة " .

فهى تعلم تمام العلم أننى أجلس على هذا المقهى تحديدا بشكل شبه يومى منذ أكثر من 4 سنوات فى ذات الوقت ... فى نفس الركن ... أدخن نفس نوع المعسل

الردىء " قص البرج " وأتحدث مع رفاق المقهى، و هم مجموعة من الأصدقاء الذين استطعت بناء أواصر صداقة قوية، كروية الطابع بهم، وذلك بحكم كثرة تلاقى وجوهنا أثناء ترددنا جميعا على المقهى، غالبا ما أخرج من النادى منهكا خائر القوى من جراء الحماس وتشجيعى للاعبين أثناء المران، لكننى لم أجسر يوما على تفويت جلسة المقهى، هى كالفاصل بين شوطين فى حياتى، ألتقط فيها الأنفاس، أخرج من النادى و أسير وحيدا عشرات الأمتار فى طريق حفظته كظهر يدى، أعبر نفقا، أجاور حائطا، وأظل أمشى وأمشى ... ثم أرى " الراجل المشهور بتاع السمك " فيطمئن قلبى وأعرف أننى اقتربت من هدفى ... وفى المقهى أجلس وحيدا أحيانا، و مع آخرين فى معظم الأحيان وأتحدث دوما فى ذلك الموضوع المتجدد والمحبب إلى النفس .." نادى الزمالك " وأحواله ... مجالس إدارته ولاعبيه، صفقاته وأخباره التى تتناثر حولنا فى كل مكان، نتبادل وجهات النظر ونتقاسم ساعات الحزن ولحظات الفرح، نتحاور، نتجادل، ننفعل على بعضنا البعض أحيانا بسبب الحالة المتردية التى يصل إليها الفريق الأول لكرة القدم أحيانا، لكننا نظل دوما معارف و أصدقاء ... تجمعنا كرة القدم ... تجمعنا الجنسية الزملكوية، رغم أن أعمارنا متفاوتة إلى حد بعيد، فأنا كبعضهم إجتاز العشرة الثانية من سني عمره بسنوات قليلة، وبعضهم أقل من العشرين بسنوات

قليلة، وبعضهم يتخطى الخمسين، وبعضهم يقترب من القبر اقترابه من باب المقهى ... لا نتحدث فى السياسة، لا نتحدث فى غلاء الأسعار، لا نتحدث عن ثورة جرائد المعارضة ضد النظام، لا نتحدث عن أى موضوع لا علاقة له بالزمالك، فنحن لا نهتم بسواه، الزمالك فقط هو ما نسعى إليه، هو ما ننشده .

تأتينى مكالمة شيماء لتقطع تسلسل أفكارى وتدفقها، دوما ما تأتينى وتقف كلقمة متحجرة فى حلقى، لكم أكره في تلك الفتاة ذلك الإلحاح والإصرار على ملاحقتى، تهاتفنى لتطلب لا شىء، و أرد عليها مقدما هذا اللاشىء، حاولت أن أشرح لها مرارا أننى تخطيت سني الطفولة وأستطيع الإعتماد على نفسى، وأنها لم تتحول بعد لأم، و أدعوها لأن تكف عن ذلك الإلحاح ... دعوات ومحاولات باءت بالفشل، محاولات تزيدها إصرارا على إصرار، و تزيد من المسافات بيننا أكثر فأكثر .

ورغم كره شيماء لحالة العشق التى أعيشها مع الزمالك إلا أنها تحاول جاهدة التغاضى عن هذا الجانب و تحب ما تبقى منى ... تحب نفس نوع الموسيقى المفضلة لى " الترانسات " ... ذلك اللون الموسيقى الذى يجمع بين الصخب والهدوء، الذى تتدخل فيه التكنولوجيا بقوة لتحوله إلى خريطة كبيرة تشبه إلى حد بعيد خريطة حياتنا الصاخبة والتى نرقص فوقها جميعا بلا وعى وبلا نظام ، أرى الترانسات كمرآة لحياتى، صاخبة رغم ما بها

من توازن، متدفقة بلا نظام، قليلة التفاصيل لكنها ذات طعم مميز ، الترانسات هى " موسيقى الروح " بالنسبة إلىَّ و لن يغير من رأيى هذا أى شخص ... تتمنى شيماء أيضا إنجاب ذات البنت بذات الاسم " نيرمين " وأنا فى الحقيقة لا أعطيها أى مبرر لحب الاسم، أنا أعلم أن " نيرمين " كان الإسم الذى تحمله أول فتاة أحببتها وقت كنت طفلا ... أما هى فلا تملك أى مبرر فى الواقع، كانت شيماء تحاول طوال الوقت أن تثبت لى أنها تتشارك معى دعمها لآرائى فى الأوجه الحياتية المختلفة... فقط هى تكره فىَّ حبى للزمالك .. أى أنها تكره أكثر من نصف روحى وتكتفى بحب ما تبقى منها .

يأتى مهدى القهوجى متعجل الخطا كعادته فى مثل هذا الوقت من اليوم، وهو يتعجل خطواته مرغماً، فدائما ما يتواجد فى المقهى فى مثل هذا الوقت من المساء عددا لابأس به من الزبائن، الكل له طلب، الكل له حاجة، ومهدى عليه التنفيذ بسرعة وبدقة، لذا فعليه الإسراع، وصحيح أن هناك من يعاونه فى خدمة الزبائن ، لكنه كان دوما الشخص الأهم و الأعرق و الأقدم ، ولهذا كنا جميعا نعتمد عليه بشدة .. يأتى مهدى مبتسما حاملا بيد مجموعة من قطع الفحم المشتعلة ترقد على دائرة معدنية صغيرة بجوار حجرين فخاريين حال لونهما إلى الأسود بسبب الحروق الناتجة من كثرة الاستخدام، وبيده اليسرى يحمل شيشتى بحرفية عالية، ليلقيها أمامى ويبدأ

فى " رص " الحجر الأول ممارسا القليل من النفخ و الشفط و الذى منه، حتى يتأكد من أن الشيشة غير مكتومة و أنه لا مشاكل بها ، سعل سعلة خفيفة، ثم بصق على الأرض بعيدا عنى كعادته دوما و بوجه صبوح ألقى علىَّ التحية المعتادة

" مساء الفل يا كابتن مصطفى " .

أذكر أن الزمالك كان متماسكا فى تلك الفترة فرددت عليه بابتسامة كبيرة :

" مساء العسل يا مهدى ... هاتلى بيبسى .. بس يكون سقعان " .

" وعندااك واحد بيبسى وصاية لكابتن مصطفاا "، هكذا هتف للعامل الذى يساعده فى خدمة زبائن المقهى و الذى لا أعرفه نظرا لحداثة انضمامه لفريق العمل بالقهوة .. كان مهدى من أهم الشخصيات فى حياتى ومن أكثرهم تأثيرا فيها .. فهو من القلائل الذين يشعروننى بقيمتى فى هذا العالم، لكننى لا أحبه لهذا السبب فقط، فأنا أيضا أعشق تفانيه فى عمله، أعشق رص الحجر من يديه الكريمتين مثلما أعشق البسلة بالجزر من يد أمى – رحمها الله- و لهذا السبب قد أشرب ما يزيد عن ثمانية أحجار من المعسل فى جلسة واحدة، و قد لا أطلب شيشتى على الإطلاق فى حالة غيابه عن المقهى لأى سبب، يدور مهدى كالنحلة بين زبائن المقهى .. يعرفنا

بالاسم ويعرف عنا المعلومات الأساسية، العمر التقريبى، أين نعمل، أين نسكن – فبطبيعة الحال لا نسكن جميعا فى ميت عقبة - بل يعلم أيضا كيف نحب مشروباتنا، يقتسم معنا مهدى حب الزمالك وتشجيعه، يدعو للفريق كثيرا، ويدعو لنا وللزمالك بحماس شديد حين يعلم أننا سنذهب لمباراة هنا أو هناك .. فطبيعة عمل مهدى تتطلب بالقطع أن يتواجد فى المقهى دوما، لاسيما فى أوقات مباريات الزمالك، يحبنى هو بحق، أعلم هذا يقينا، فأنا أعامله بإحترام يستحقه، وبسخاء لا يطلبه – فهو عزيز النفس إلى حد بعيد - وبالقطع كنت أنا ممن لا يبقون حسابا على النوتة أبداً، و هو ما يزيد من إحترامه لى، ورغم مشاغله و ظروف حياته الصعبة بكل تأكيد والتى يمكنك تخمينها من الحالة العامة لثيابه، ومن شكله الخارجى العام، فإن مهدى لا يشغله عن الزمالك شىء، ولا يفوته أن يوصينا بالهتاف للاعبين أو بتوجيه النصح للمدير الفنى بأن يلعب برأسى حربة بدلا من واحد كى نضمن المباراة (بدرى بدرى)، أو أن نصرخ فيه بأهمية تأمين خط الدفاع بدقة أكبر ، حيث أن مهدى يرى مثلنا جميعاً أن خط الدفاع هو المشكلة الأكبر فى الفريق منذ سنوات ... وهذا طبعا على اعتبار أن أصواتنا تصل إلى المدير الفنى ... كثيراً ما كنت أتذكر مهدى وعشقه الجارف للزمالك وأنا أتقافز على كراسى المدرجات البلاستيكية ، كثيراً ما كنت أتذكر وجهه الأسمر الصبوح، وشعره الغارق فى مثبت الشعر

الرخيص، والذى يمكنك الجزم بأنه – أى شعره - لن يستطيع الصمود على فروة رأسه لأكثر من عامين بسبب هذا المثبت اللعين ، و لكن مهدى يرى أن المثبت برئ تماما من تهمة إسقاط الشعر، وأن (الغم) سيكون هو المسئول بالتأكيد ، وأتخيله سعيداً فى بعض اللحظات بعد إحراز هدف ما، وأكاد أبكى عند تخيله مصدوما مذهولا بعد إحتضان مرمانا لكرة من أحد المنافسين، ومما لاشك فيه على الإطلاق أن مهدى – الذى أخبرنى أنه زملكوى منذ أن كان عمره خمس سنوات - يؤمن بالزمالك مثلنا جميعا، يبكى ويصرخ ويتحمس وينفعل ويسب مثلنا جميعاً ولهذا لن تستطيع أن تنكر على مهدى زملكويته .. لن تنكر عليه عشقه الجارف للزمالك .. أبدا لن تستطيع .

مصطفى أحمد سعد الدين ... ذلك هو اسمى كما هو وارد ببيانات بطاقة الرقم القومى التى قمت بتحديث بياناتها فى أوائل عام 2010 لأضيف عليها المهنة ... بعد أن كنت أأبى تسجيل تلك المهنة فى أى وثيقة رسمية تحمل اسمى و لا أعتبرها من ضمن بياناتى أساسا، لكننى أضطررت إلى ذلك إضطرارا عندما عرفت أن جملة (حاصل على ....) كفيلة بأن يجذبك أى شخص يعمل بسلك الشرطة من قفاك إلى أقرب قسم .. حيث إن هذه الجملة تعنى ببساطة أنك عاطل عن العمل أى انك بلغة الشرطة و الشارع معا، (صايع) ... و المثير فى موضوع البطاقة و المهنة هو نقطتان مهمتان للغاية :

أولاهما : أننى كنت أرفض رفضا قاطعا تسجيل مهنتى بالبطاقة ليس فقط لكونها غير متلائمة مع مؤهلى العلمى الذى تعبت من أجله أربع سنوات داخل مدرجات كلية الآداب بجامعة حلوان لأدرس أقدم النظريات والإثباتات والخرافات الفلسفية المختلفة التى أعشق تشعبها و منطقها، وعبثها أحيانا، بقسم الفلسفة العريق ... ولكنها أيضا – أى مهنتى – تتعارض تماما مع مبادئى الكروية، حيث إننى أعمل داخل أكثر الشركات احمرارا فى مصر ... أعمل بقسم خدمة العملاء فى شركة الاتصالات التى تفخر دوما بأنها الراعى الرئيس للنادى الأهلى الذى يقف عائقا دائما ومستمرا أمام ما أحب بشدة، و هو تطور نادى الزمالك وتقدمه للأمام خطوات فى جدول الدورى العام ... أعمل فى فودافون .

ثانيتهما : أننى و قبل شهور قليلة كنت أسير فى أى شارع مصرى مطمئنا ثابت الجنان حيث إن أخى الأكبر (وليد) يعمل ضابطا بالشرطة وهو ما كان يمثل درعا واقية لى فى كثير جدا من المواقف التى أتعرض لها ... وهى مواقف قد يتعرض لها أى شاب مصرى فى أى وقت و أى مكان ، تبدأ بالمشاجرات ولا تنتهى عند التوقيف العشوائى عن طريق أفراد الشرطة المنتشرين فى الشوارع بكفاءة ... إلا أن وليد أخى يعاملنى بجفاء شديد منذ فترة – لأسباب وجيهة جدا فى الحقيقة من وجهة نظره الخاصة – و هو ما جعلنى أعجل بتحديث بيانات

البطاقة خوفا من أن يتخلى عنى فى لحظات حرجة .. وخوفا من تعرضى لأى موقف مهين .

سؤال قد يتبادر إلى ذهنك الآن .. ما هو الدرس المستفاد مما سبق ؟ ... لماذا تصدع رأسى بهذه التفاصيل ... لماذا تروى قصتك ... لماذا تملأ رأسى بدخان قص البرج الردىء .. وصوت صديقتك التى تحب جزءاً منك .. وجلوسك على المقهى المجاور لـ " الراجل المشهور بتاع السمك " ... مهدى وصفاته، وصفاتك وخزعبلاتك عن نفسك، فودافون، وأخيك الضابط، وقطعا حبك المبالغ فيه لنادى الزمالك ... ماذا تريد يا مصطفى أحمد سعد الدين ؟ !!!

إجابتى عن هذه الأسئلة و ما قد يدور فى رأسك غيرها يا سيدى هو أننى و ككل من و ما هو زملكوى فى كوكب الأرض أحب حسام حسن حبا جارفا يفوق أى تصور ... و هذه واحدة .

و الثانية هى أننى يا سيدى العزيز .... أولتراس .

انتهت علاقتى بالرياضة و كرة القدم فى إبريل 2010 .... وعلى ذكر 2010 دعنى أنعش ذاكرتك الكروية قليلا ... مع بدايات الموسم الكروى لعام 2009 – 2010 استبشرنا جميعا نحن الزملكوية خيرا و قلنا – كما يحدث كل موسم فى الواقع – إن الدورى للزمالك لا محالة ... وكان لنا فى ذلك وقتها كل الحق ... فمعنا مدير فنى كفء نجح فى إنقاذنا من شبح الهبوط فى الموسم الماضى (سويسرى الجنسية ميشيل ديكاستيل) والذى دأبنا على مناداته جميعا نحن مشجعى الدرجة الثالثة بـ ديكاستال ... و معنا جهاز معاون جيد للغاية، و معنا أيضا إثنان من أقوى مهاجمى مصر وأكثرهم شهرة و تألقاً فى ذلك الوقت و اللذان مثلا سويا حالة من الصدمة و الرعب لكل مدافعى الفرق المنافسة بمجرد معرفتهم أن (ميدو) و (عمرو زكى) هما رأسا حربة الزمالك ... يحرس عريننا الوحش (عبد الواحد السيد) ... يدافع عنا نجم المنتخب (محمود فتح الله) ... و بجواره العمرين (عمرو الصفتى) و (عمرو عادل) .... معنا صفقة رابحة بالمقاييس الإعلامية والفنية هى صفقة (حسن مصطفى) نجم وسط غريمنا الأهلى الأسبق ... معنا أيضا صفقة راهن عليها نجم الزمالك الأسبق الثعلب (حازم إمام) كثيرا وهى صفقة اللاعب (سيد مسعد) و الذى يشبه على مستوى الشكل (جود جونسون) لاعب نادى توتنهام الانجليزى (فى ذلك الوقت) إلى حد التطابق ... وعلى ذكر النجم

الخلوق (حازم إمام) فقد فاز وقتها بكرسى فى مجلس إدارة النادى كفرد من قائمة رجل الأعمال (ممدوح عباس) ومعهما مجموعة متناسقة من رموز النادى وعلاماته منهم (اللواء/ صبرى سراج) كنائب لرئيس النادى، و (المستشار/ أحمد جلال إبراهيم) وغيرهما بعد انتخابات رائعة شهد لها السواد الأعظم من المتابعين، بالنزاهة و العدالة و الديمقراطية .

أسباب قوية بحق هى ما سبق، أسباب جعلتنا كزملكوية نبدأ الموسم وكلنا أمل ... فنحن نظريا و على الورق نمتلك أقوى و أهم كتيبة من النجوم فى حدود جمهورية مصر العربية.. ونحن أخيرا نمتلك ما كان الزمالك يفتقده بشدة وهو الاستقرار .. ولكن للأسف كان ذلك على الورق فقط .. وكعادتنا دوما فقدنا النقطة تلو الأخرى ... هُزمنا فى مباراة وتعادلنا فى مباريات .

بدأنا الموسم مع فوز (بالتخصص) على إنبى فى أول أسابيع الموسم فإنبى ورغم قوته وتماسكه وحفاظه على هيبته فى جدول الدورى العام إلا أنه بالفعل وحتى نهاية موسم 2009 – 2010 لم يستطع هزيمة الزمالك فى مباراة واحدة، فمنذ تواجده بالدورى الممتاز تعادل معنا ست مرات متتالية ثم هُزم أمامنا اثنتى عشرة مرة سواء فى الدورى العام أو فى مسابقة كأس مصر، و هو ما كان يجعلنى كزملكوى واثقا من الفوز على إنبى بحكم العادة، مهما كان مستوى فريقى، ولهذا كنت أذهب إلى تلك

المباراة دوماً كما أخرج منها بخطا ثابتة، ضاحكا، مستبشرا ..... وهو ما لم يحدث فى المباراة التى تلتها، ففى ثانى أسابيع الدورى كان على الزمالك أن يواجه بتروجيت، و بتروجيت وقتها كان فريق قوي و عنيد ، كان يمتلك مدرب واع ومتمرس هو الكابتن (مختار مختار) نجم الأهلى السابق الذى عاصر الأهلى فى فترة ذهبية ممتلئة بالنجوم ويكفى الكابتن (مختار) أنه زامل لفترة العلامة الكروية الفارقة فى تاريخ مصر و الأهلى الكابتن (محمود الخطيب)، وغير مدربها الكفء، كان لدى بتروجيت وقتها كتيبة من النجوم تتمنى نصفها كل أندية الدورى العام تقريبا، وفى تلك المباراة التى جمعتنا فى ثانى أسابيع البطولة أحرز الفهد الأسمر، لاعب الزمالك المميز بحق (شيكابالا) هدفا لنا فى لحظات المباراة الأولى، وحدث أن نجم الهجوم الزملكوى الذى علقنا عليه كل الآمال (ميدو) أضاع ضربة جزاء حاسمة حالت دون التعادل، خاصة أن بتروجيت أحرز هدفين .. ثم جاء بعد ذلك تعادل معجون بالهزيمة من فريق المقاولون العرب وشهدت تلك المباراة الظهور الأول للأسطورة والمعجزة الكروية (إديكو) لاعب خط الوسط الزملكوى الجديد، الذى أعتقد أنه يوقن بأن الكرة جسم مكعب لا مستدير ... وأذكر يوم تلك المباراة أننى خرجت من ملعب المقاولون العرب يملؤنى الاستياء، حزيناً على مستوى الفريق، لكنه حزن به مسحة من رضا، ففى تلك

المباراة رأيت الزمالك ومنذ فترة طويلة يتعادل بعد أن كان متأخرا، وهو ما لم يكن يحدث لنا تقريباً فى السنوات الأخيرة .

ثم فوز هزيل على الاتحاد .. تبعته هزيمة من طلائع الجيش ... فهزيمة من الإسماعيلى على أرضنا بهدف قاتل ... ثم تعادل بطعم الهزيمة مع الجونة هذا الفريق الوافد الجديد للدورى فى ذلك الوقت والذى كان يدربه مدرب كفء آخر و هو (تيجانا المصرى)، أحد نجوم الدفاع فى عصر ذهبى للزمالك وهو الكابتن (إسماعيل يوسف) الشقيق الأصغر للغزال الأسمر و عضو مجلس إدارتنا فى ذلك الوقت الكابتن (إبراهيم يوسف)، حدث التعادل لما سمح حارس مرمانا – المتميز وغير المحظوظ على الإطلاق – الكابتن (محمد عبد المنصف) لمهاجم الجونة أن يحرز هدفا بقفاه ... وبعد مرور سبعة أسابيع كاملة من عمر الدورى نفوز على الإنتاج الحربى فوزا غريبا جداً فى الواقع بنتيجة 3 – 2 فلو استمرت هذه المباراة لدقائق قليلة إضافية لكنا هُزمنا بجدارة !!!!

يوم مباراة الإنتاج الحربى، يوم لا ينسى، فهو فريق حديث العهد بالدورى العام، كان هذا الموسم أول مواسمه فيه، و رغم ذلك استطاع أن يحرج كيان ضخم كالزمالك – نحن التاريخ والسجل الحافل والملىء بالنجوم - و بقسوة.... فريق الانتاج الحربى كان يدربه وقتها مدرب متمرس آخر، زملكوى عريق أيضاً ، هو طارق يحيى، و

يبدو أنه حاول أن يثبت لفريقه القديم أنه مدير فنى متمكن، و أن سني الخبرة التى نالها فى الزمالك آتت ثمارها بكل تأكيد ..... يومها كنا نرتدى طاقما أسود بالكامل على عكس طاقم الزمالك الأبيض المعتاد، ويبدو أنه كان طاقما منحوسا ... فكما ذكرت لك فقد كدنا نُهزم فى تلك المباراة، و قد خرجت من الإستاد يومها مكتئباً، خائفا على مستقبل الزمالك، فها قد مرت سبعة أسابيع و لم نفعل أى شئ يليق باسم الفريق، خرجت من ملعب الانتاج الحربى يومها، لتأتينى مكالمة من شيماء تتهلل فرحا – من باب المجاملة قطعا – لأننا فزنا ... وصحيح أننا كنا فى بدايات الشتاء، و كان الطقس لطيفا فى هذه الفترة، لكننى كنت أرتعد من البرد بلا سبب محدد ... أتت مكالمة شيماء هذه المرة لتشعرنى بالدفء، و كانت تلك من المرات القليلة التى أدفأتنى فيها مكالمتها ... طلبت رؤيتى فوافقت بلا تردد ... التقينا فى منزل هشام صديقى - أو الوكر – كما نطلق عليه، و كان يوما ملعونا، فلم يشهد فقط تراجعا فى منحنى أداء الزمالك، ولكنه شهد أيضا تراجعا فى منحنى فحولتى ... لم أكن طبيعيا بالمرة يومها، و يبدو أن حالتى المعنوية السيئة وخوفى على الفريق قد أثرا سلباً على أدائى فى السرير، فقمت من فوقها سارحا فى أفكارى، لأرتدى ملابسى بسرعة وأخرج متحججا بأن ورائى فى الغد يوما حافلا فى العمل.

ويبدو أن ارتداء الفريق للطاقم الأسود كان بمثابة بوابة جهنم بالفعل، فتوالت الهزائم بعد ذلك، من غزل المحلة ثم اتحاد الشرطة، أرجوكم لا تنسوا أنه زمن الفرنسى (هنرى ميشيل) يا سادة ... فقد استغنى مجلس إدارتنا عن " ديكاستال " وقرروا أن يعيدوا إلينا الفرنسى الفاشل الذى يجلس فى موقعه على الدكة متفرجا، متابعا بدون حراك، ينزل الملعب واثقا من الخسارة ولا يحرك ساكنا طوال 90 دقيقة لمحاولة التعديل، و أخيرا جاءت الإقالة المتوقعة و المنتظرة، ارتفعت الأصوات فى تلك الفترة مطالبة بما يشبه ثورة التصحيح، لابد أن يتولى الزمالك رجل فاهم لحالة كرة القدم المصرية، قائد، حماسي، يأبى الخسارة، ولا يعرف إلا طعم النصر ... وبعد مباراة اتحاد الشرطة مباشرة خاض الزمالك تلك المباراة التى أعتقد أنها مباراة مفصلية فى تاريخ النادى طوال 99 عاما هى كل عمره المديد فى ذلك الوقت، مباراة فريق حرس الحدود، والتى شهدت أول ظهور للعميد (حسام حسن) كمدير فنى للأبيض، وخسرنا فيها ثلاث نقاط مهمة بعد اشتراك لاعب حرس الحدود (أحمد عيد عبد الملك) وإحرازه هدف المباراة الوحيد، وذلك رغم حصوله على طرد مباشر فى المباراة التى سبقتها وهو ما كان يستوجب إيقافه ، وكانت تلك الحادثة بمثابة حلقة جديدة تضاف إلى حلقات مسلسل التعنت مع الزمالك الذى ينتجه ويخرجه

ويمثله الجميع ... لتكمل مسلسل سطوة الإعلانات وتحكمها فى سوق كرة القدم، مسلسل ضعف الحكام، مسلسل قسوة العالم على جماهير الزمالك البيضاء.. لكنه مسلسل لم يستمر طويلا، فبعد مباراة حرس الحدود مباشرة، أهدتنا السماء تعادلا بطعم الفوز الساحق مع الغريم اللدود .. الأهلى ... تعادلاً أكد قوة العميد وحنكته ، حيث أنه جاء بعد أربعة أيام فقط من توليه مسئولية الفريق .

التعادل مع الأهلى كان أكثر من مجرد تعادل، نعم، فنحن يومها كنا الأكثر اهتزازا، وهم كانوا الأكثر تماسكا، نحن الجانب الأضعف، وهم كالعادة الأقوى و الأوفر حظا، هم يمتلكون كافة المفاتيح، لكننا كنا نملك (المقصلة) .. نحن نمتلك روح حسام حسن .... حسام سيبقى دوما واحدا من أهم و أقوى الأساطير الكروية المصرية المعاصرة،وصحيح أنه لعب للأهلى والمصرى البورسعيدى ، لكنه حاز لقب (عميد لاعبى العالم) بقميص الزمالك – وهو لقب يحصل عليه اللاعب صاحب أكبر عدد من المباريات الرسمية فى سجله - ولم ينل حسام هذا اللقب من فراغ أو بالصدفة، فكل من عاصره يعلم تمام العلم أنه يمتلك وتوءمه إبراهيم روحا قتالية قلما تتواجد فى لاعب كرة قدم ... يقف حسام شامخا كتفا بكتف مع عظماء اللعبة فى العالم أجمع، مهاجما فذا، يتقن إحراز الأهداف، يحترف الإجادة فى الملعب، ينقل

عدوى الحماس والولاء لكل من يجاوره على النجيل الأخضر، يملك كاريزما الرجل الأول و يستطيع القيادة و التأثير فى الآخرين بكل سهولة، هو فى كرة القدم كعبد الناصر فى السياسة، كعادل إمام فى التمثيل، كقاسم أمين فى المجتمع المصرى، هو شخص يستطيع تحويل الدفة بيسر وسلاسة فى أى إتجاه يريد، وكانت بوصلته فى تلك الفترة تشير بإبرتها المضيئة فى اتجاه وحيد ... اتجاه الزمالك .

يوم أن تم تعيين حسام حسن كمدير فني للزمالك، فاقت فرحتى أية فرحة أخرى، كنت كعريس إنتظر يوم زفافه إلى معشوقته، كنت كطالب ثانوية عامة جاءه خطاب التنسيق برغبته الأولى، كنت سعيدا، فرحا، حتى أننى استأذنت من مديرتى و تركت العمل مبكرا ، وطويت الأرض طيا لأصل إلى النادى و أكون واحدا ضمن أفراد الجموع الغفيرة التى إستقبلت هذا الرجل على بوابات النادى .... وقرأت ملامحه جيدا عندما خطا أولى خطواته داخل الأسوار البيضاء، كان متوجساً، آملاً، خائفا من مسئولية تدريب فريق عريق بحجم الزمالك، ذلك رغم خوضه لتجربتين سابقتين مع المصرى البورسعيدى والمصرية للإتصالات، لكنه أيضا كان واثقا ... وأيقنت حينما درست وجهه أن هذا الرجل هو من نحتاجه ... هو من سيخرجنا أخيرا من عنق الزجاجة .

الفوز ثم الفوز فالفوز و من بعده الفوز ... هذا هو زمن حسام حسن ... ولهذا توالى ضحايانا فى الدورى العام (المصرى البورسعيدى – بترول أسيوط – فالمنصورة – و من بعده إنبى – المقاولون – ثم الاتحاد – بتروجيت) وتوقف قطار الفوز اللاهث بعد ذلك فى الإسماعيلية بتعادل عادل خسرنا به نقطتين و لم نخسر به من كانوا أصدقاءنا فى شرق مصر ... و أرجو ألا تتعجب من لفظ (من كانوا) ذلك .. فنحن كجماهير أصبحنا لا نثق – كما كنا من قبل - فى الإسماعيلى ككيان بعد إحترافه أخذ الأموال من النادى الأهلى، و تعاطفهم - كلاعبين و مجلس إدارة - غير المعلن مع الاهلى، بل إنصياعهم له تماما .... جاء بعد ذلك فوز – لانستحقه فى الواقع - على الجونة .... تلاه فوز هزيل على الإنتاج الحربى ... ثم فوز هزلى (لم يقنعنى شخصيا) على المحلة بضربة جزاء شكك الجميع فى صحتها كثيرا مع أنها سليمة ... ثم جاء تعادل سخيف قاس فى تلك المباراة الدموية .. مباراة المارد الأبيض العظيم مع فريق اتحاد الشرطة والتى تحولت فيها أرضية إستاد القاهرة إلى ما يشبه ساحة الحرب بعد أن حاول أبناؤنا الدفاع عن الكيان الأبيض ضد القهر والتعسف التحكيمى المعتاد ... فجاء الرد بقررارات تجعلك كارها لكل شخص يستطيع أن يتحكم فى مصيرك ومصير فريقك، جاء الرد بعيدا كل البعد عن الإقناع ... جاء الرد ليقهر اثنين من أهم لاعبى

الزمالك و أصغرهم سنا وقتها (حازم إمام – علاء على) بحرمان الأول من الاشتراك فى ثمانى مباريات مع غرامة مالية ثمانية آلاف جنيه مصرى، وعقاب الثانى بالحرمان من نصف عدد المباريات ونصف كمية البنكنوت، فقط لأنهم حاولا الدفاع عن شرف فريقهما وكرامته المهدرة على أرضية الملعب، قررات همجية هى، قرارات أثرت فى نفوس الفريق والجماهير، لكنها لم تفقدنا الثقة أبدا – كجماهير محبة- فى صلابة العميد وأدائه مع الفريق ... لم تفقدنى تحديدا الثقة فى هذا الصرح الصلد ... فى هذه الأسطورة التى نبخسها قدرها كثيرا عندما نطلق عليها العميد ... أبدا لم تفقدنى الثقة فى حسام حسن .

وجاءت بعد ذلك هزيمة مفاجئة وغير متوقعة من حرس الحدود على أرضهم فى إستاد المكس بالإسكندرية .. هزيمة مرة هى، جاءت فى الوقت القاتل – بالنسبة للمباراة فى الدقيقة 91 - وبالنسبة لتوقيت جدول الدورى العام، فقد جاءت فى الاسبوع السابع و العشرين من الدورى و قبل مباراة الأهلى مباشرة، إن التعادل مع الشرطة و الهزيمة من الحدود لم يفقدانا مجرد خمس نقاط، لكن تحولهما إلى فوز، كان سيضمن لنا – نحن نادى الزمالك – أن نستقر على عرش الدورى العام بنسبة تتخطى الـ 80 %، وذلك اعتمادا على عدد النقاط والفارق الذى كان سيضيق للغاية مع الغريم التقليدى واللدود (الأهلى) والذى كان يسيطر كالعادة على عرش

الدورى، هـذا إذا وضعنا فى الحسبان أيضا الحــالة النفسية والمعنــوية لـلاعبى الأهلى و مجلس إدارته و قطعاً حالة جهازه الفنى - المرتبك فعلا وقتها - ... والتى كانت ستنهار حتما بعد هذين الفوزين لو كانا تحققا، خاصة و أن الديربى أو الكلاسيكو المصرى المنتظر كان مباراة الأسبوع التالى ... وأكاد أجزم أن خريطته كانت ستتغير تماما لولا ترتيب القدر ... مع الوضع فى الاعتبار أن الأهلي أخفق كثيرا جدا فى هذا الموسم، ففي الدوري لم ينجح تقريبا في الفوز بأي مباراة صعبة باستثناء لقاء بتروجيت في السويس، وتعادل مع الزمالك - المرعب الحقيقى للأهلى بين كل فرق الدورى - مرتين، كان الزمالك منهارا فى الأولى، وفي مباراة الدور الثاني كان الزمالك الأفضل والأخطر والمتقدم ثلاث مرات قبل أن يتعادل الأهلي في الثواني الأخيرة بضربة حظ من نجمه الزئبقى كما يطلقون عليه .. محمد بركات .

الأهلي فى موسم 2009 – 2010 بكل تاريخه (المضىء) كما يصوره الإعلام الأحمر، لم يحقق الفوز بفارق أكثر من هدفين طوال مباريات الدوري، حتى مع بترول أسيوط متذيل ترتيب الجدول ... الأهلى فقط يسبقه الرعب بمسيرة شهر، الجميع يخشاه لما يحمله من تاريخ قد يكون مزيفاً و غير حقيقى، الجميع يهابه لما يسمعونه من الإعلام (الأحمر) عن مدى قوته، الجميع يعمل ألف حساب لقوة الأهلى الزائفة و التى أصبحت تاريخا يحكى

لنا عنه ولا نعيشه ... الأهلى كان يبدو وقتها كصندوق أضاع الساحر مانويل جوزيه مفتاحه الصدئ .... فالأهلي خسر مع بداية الموسم بطولة كأس السوبر المصري على يد حرس الحدود..... وفى الدورى كان قد تعادل مع الإسماعيلي، وتعادل مع المصري في بورسعيد، وتعادل مع الاتحاد في الإسكندرية، وتعادل مع حرس الحدود مرتين ذهابا وإيابا، وخسر من غزل المحلة المهدد بالهبوط... الأهلى المتخبط .. العنيف .. الطامح ... المترنح، كان يستعد للقاء الفارس الطموح الآتى ركضا من الخلف ... سيقابل العداء الذى سقط مع بداية جريه فى المضمار لكنه اكتسب إحترام الجميع عندما إستطاع الوقوف على قدميه مرة أخرى و الاقتراب من المقدمة .. وزاد احترام الجميع له عندما خضع له المربع الثانى، وسجد له المربع الأول، عندما دنا كثيرا من شرب كأس النصر .. الأحمر كان يستعد لمقابلة الزمالك .

لو صادفك الحظ و قرأت كثيراً فى كرة القدم مثلى لعرفت أن أكثر ما يخافه فريق الكرة فى أى وقت هو طموح الفرق الأخرى، و أن ما يجعل فرائص الفرق الكبيرة ترتعد هو الفرق المماثلة إذا ترنحت ثم أفاقت، وفى التحليلات الكروية الحديثة يملأون رأسك بالكثير من العبارات التى تحذرك من " القادمون من الخلف " .. فهم يأتون بغتة، يأتون مندفعين، يأتون واثقين من لحاقهم بالكرة ... يأتون و هم معبئين بالإيمان ... يأتون لتحقيق

الهدف والزمالك (القادم من الخلف) استطاع أن يجرى بين جنبات قاعة الدورى العام المصرى ليجلس وحيدا فى الصف الثانى بعد أن كان يجلس فى الصف الثالث عشر، يجلس فى هذا الصف الذى سيسمح له بدخول بطولة إفريقيا أخيرا، ليصفع الأهلى الجالس فى الصف الأول على قفاه و يزيد من رعبه وتوتره ... يجلس فى هذا الصف ليصرخ فى أذن الأهلى أن ما أُخذ بالتحكيم المتحيز و بالأموال و بالحظ أحيانا، قد يُسترد بالمجهود و العرق و الإيمان .. الزمالك X الأهلى، إنه الديربى المنتظر .

زمن العميد .. ذلك هو الزمن الذى رفعنا رأسنا فيه، وعلا فيه صوتنا ,عادت فيه الهيبة و استُردت فيه العافية ... وفى وسط هذا الزخم أعيش أنا حالة غير إعتيادية من الفرحة ...أتجول بين ملاعب القاهرة و الكلية الحربية والإسكندرية والإسماعيلية وأسيوط وغيرها لأؤدى واجبى كمشجع زملكوى ... أترك الجزء التافه من حياتى وما يحويه من تفاصيل البيت والعمل والحب لأتفرغ بكل ما أوتيت من قوة وحماس وحواس للجزء الأهم .. للجزء الذى أؤمن به و بقوة ... الزمالك و لا شىء غيره .

وحتى قبل زمن العميد بشهور طويلة، انقسمت حياتى وبلا مبالغة ... إلى ربع و ثلاثة أرباع ... ربع به حياتى و ثلاثة أرباع بها الزمالك ... فمن البيت للعمل بدون تركيز فى كليهما، لأخلع تلك الحلة الكئيبة ورباط

العنق الأحمر الخانق فى حمام الرجال بالدور العلوى من الفرع ... أخلع معهما الكثير من " ألو .. فودافون مع حضرتك " .. و " سيريال الكارت اللى مع حضرتك كام ؟ " و " النظام الجديد دة بيتميز بكذا و كذا " وطبعا " شكرا لاتصالك بفودافون "... أخلع كل ذلك و أرتدى ملابس خفيفة تتناسب مع حياتى التى تقبع خلف ذلك الباب الزجاجى ... وأذهب متلهف الخطا بسيارتى البيضاء إلى ميت عقبة ... حيث تدريب الفريق فى النادى ... أحضر أحيانا مباراة فى كرة السلة أو اليد، (فنحن ملوك هذه الرياضات فى مصر) فالزمالك بالفعل ومنذ سنوات يمتلك زمام الأمور فى أكثر من رياضة منها كرة اليد وتنس الطاولة والكرة الطائرة أحيانا ... ولكننى وفى الأساس أقطع تلك الرحلة يوميا من المعادى إلى ميت عقبة لمشاهدة التدريب المسائى للفريق الأول لكرة القدم، ثم القهوة وقص البرج والحديث عن النادى واللاعبين والجهاز الفنى ومجلس الإدارة، وبالقطع مكالمة شيماء ذات الطابع الأسطورى .

لم أندم يوما على إرتباطى بـ ميت عقبة بهذا الشكل، فصحيح أنها أبعدتنى عن المعادى وأهلها ، وحرمنى هذا الارتباط من تكوين علاقات جديدة بسكان المعادى ، أو حتى الحفاظ على العلاقات القديمة ، لكن إرتباطى الشديد بـ ميت عقبة ساهم بشدة فى تقوية علاقتى بالزمالك ، تاريخه وحاضره ومستقبله ، وهو ما يهمنى فى الأساس.

وفى طريقى إلى النادى ... أقتل وقتى فى تأمل شعار الزمالك المعلق فى مرآة الصالون بالسيارة ... أسمع أغنية " بحبك يا زمالك " التى كتبها ولحنها الفنان الجميل عزيز الشافعى، وعزيز مطرب ومؤلف وملحن شاب لم يكتف بإعلان زملكويته على الملأ، إنما بادر بتقديم أغان متميزة، قريبة من قلوب المستمعين، يتحدث فيها عن الزمالك ورموزه، إنجازاته وبطولاته، تحمله للضغوط والسخافات، ووقوف الجماهير خلفه لعل أشهرها أغنية (إحنا معاك يا عميد) ... أو أستمع أحيانا لبعض تراكات " الترانسات " التى أعشقها وأذوب فيها ذوبانا .... أو أداعب تلك الألعاب الصغيرة التى تنتشر فى سيارتى والتى تمثل معظمها الأهلى ومشجعيه فى صور شيطانية ... أو الزمالك ومحبيه فى صور ملائكية ... مع الكثير من رقم 14 طبعا وهو رقم قميص لاعبى المفضل سابقا وحاليا، حازم إمام الكبير ثم حسين ياسر المحمدى، وحسين يعد بالفعل أول صفعة قوية للأهلى من الزمالك منذ فترة طويلة جدا ... حتى إن صفقة حسن مصطفى لاعب وسط الأهلى الأسبق لا تعد فى قوة صفقة المحمدى من حيث تأثيرها على الأهلى ومريديه خاصة بعد المستوى المتميز الذى قدمه اللاعب مع الأبيض بعد أن كان حبيس دكة البدلاء الحمراء لموسم كامل بأوامر عليا من الإمبراطور مانويل جوزيه .... وطبعا لا يفوتنا الكثير من " إيه يا بيبى.. أحوالك.. أخبارك..؟ " من خلال

مهاتفة شيماء لى والتى يبدو أنها تعاقبنى بها عقابا بلا توقف كعقاب كبير الآلهة زيوس لسيزيف .

قد تسخر منى الآن و تتلاعب بك الظنون ... هاهو زملكوى مختل آخر يصدع رؤوسنا بقصته مع تشجيع الأبيض، لكننى أؤكد لك مسبقا أنك لن تفهم مقصدى إطلاقا إلا إذا كنت مؤمنا بشدة بأى شىء، ووجدته يهرب من بين أصابعك كالرمال الناعمة، الزمالك يا سيدى و بلا أدنى مبالغة هو الدرب الذى أسير عليه، صحيح إننى أسير عليه مهزوزا .. صحيح أنه دربا وعرا و غير ممهد، و لكن من قال إننى أهوى السهولة ؟!!، من قال إننى ممن ولدوا و تعلموا كلمات بابا و ماما و " بيب بيب أهلى " على الترتيب، كمعظم المصريين والذين يفوق جهلهم بتاريخ كرة القدم جهلم بترتيب حروف اللغة الصينية .. من قال إنى أصدق حرفا يتيما من الترهات التى يروجها الإعلام الأحمر.. الأكاذيب التى صدقوها من كثرة تكرارها ... الخرافات التى زعموا وجودها حتى أصبحت واقعا بحكم كثرة التأكيد عليها.. من قال إننى هذا الشخص اللين الذى يسير مع الجموع هاتفا باسم الاكذوبة الكبيرة المسماة بحب نادى القيم الأحمر ... من قال إننى هذا الرجل ؟!! ... أؤكد لك من جديد يا سيدى أنك لن تفهمنى إلا إذا آمنت، فالإيمان هو مفتاح كل شىء .

كم مرة آمنت ياسيدى بحب فتاة ؟.. كم مرة آمنت بنجاحك فى اختبار ما ؟.. كم مرة آمنت بقبولك فى وظيفة ؟ ... كم مرة آمنت بأن الكرسى الذى ستجلس عليه الآن لن يسقط بك ؟ .. وكم مرة جاء هذا الشخص الأنسب منك ليخطف فتاتك ؟ و كم مرة رسبت فى الاختبار لأنه كان ينبغى أن تفعل ؟ .. وكم من المرات خسرت الوظيفة لأن المواطن الأنسب منك ـ كالعادة ـ جاء ليربحها ؟.. وكم مرة وقع بك الكرسى ؟!!! وكم من المرات كنت تعلم أنك ستخسر رهاناتك المتعددة ؟ .. كم مرة كنت توقن أن النار ستأتى عليك وجازفت، لأنك تؤمن بما تفعل ؟ كم من المرات إخترت دربا تعلم تمام العلم أنه الأصعب والأكثر وعورة، فقط لأنك تعلم أنه الدرب السليم ؟ و هل حالت آلاف الحناجر التى تصرخ وتشير إليك بطريق آخر بينك و بين معتقداتك ؟!! .

هذا ياسيدى هو بالضبط حالى مع الزمالك ... أراهن عليه دوما ... وغالبا ما أخسر الرهان، أخسره لأسباب تخرج عن إرادة كلينا – الزمالك وأنا ـ أنتظره كثيرا و أعلم أنه يجد فى السير لأجلى، لا من أجل المزيد من أوراق البنكنوت، هذا ما أؤمن به يا سيدى ... الزمالك فتاة جميلة يجرى وراءها الجميع .. اختبار صعب يخشاه الجميع ... وظيفة محترمة فى شركة متعددة الجنسيات يرغب بها الجميع ... كرسى فخم يعطيك انطباعا مستمرا بالعراقة و الثبات، الزمالك يرغب بك و يقبلك و يتعامل

معك بكل ما فيك من عيوب و سخافات و نواقص ... الزمالك يقبل التراجع .. يقبل الخسارة ... يقبل القسمة على الجميع ... الزمالك مثال واضح للتحدى ، للقيام والتماسك بعد العثرات التى تأتى واحدة تلو الأخرى .. الزمالك يبادلك الحب إن أحببته ... يصدقك إن صدقته .. يبدو كشيخ عجوز أبيض الجلباب و اللحية لا يرهبه شىء، لا يحيط به أحد، يمشى متثاقلا لكنه محدد الهدف مستندا على عصاه المتينة التى يصنعها أبناؤه ومحبوه .. الزمالك إن وقع آمن بالوقوف من جديد، و إن اعتدل فى سيره لا يتفاخر أبدا .. الزمالك مجلد كبير يحوى آلاف القصص لن يمكنك حصرها ... الزمالك لغز كبير يكمن حله فى الإيمان به .. يكمن حله فى التصديق ... أنا صدقت ... الآلاف فعلوا ... فهل تبعتنا ؟!!

أشجع كرة القدم منذ هدف مجدى عبد الغنى الشهير والذى سجله فى مسابقة كأس العالم التى أقيمت فى إيطاليا، جاء الهدف يوم الثلاثاء 12 يونيو 1990 فى مرمى هولندا من ضربة جزاء عادلة بعد أداء متميز من منتخب مصر بدءا من الحارس العملاق، الإعلامى العملاق حاليا أحمد شوبير .. مرورا بهشام يكن وهانى رمزى فى الدفاع و كل النجوم جمال عبد الحميد وحسام و إبراهيم حسن و طبعا عريس المونديال ـ هداف مصر فى كأس العالم كما يقول الخبثاء ـ مجدى عبد الغنى ومن قبلهم جميعا الجنرال محمود الجوهرى قائد مصر فى

المونديال – وهى معلومات عرفتها فى مرحلة لاحقة بالطبع - ذلك أننى فى هذا اليوم كنت على مشارف الأعوام الثمانية من عمرى، سمعت آهات والدى ووليد - الذى يكبرنى بسنوات خمس - مخلوطة بصرخاتهم المتوالية وأذكر أننى كنت أرسم وقتها فى غرفتى.. دفعتنى أصواتهم المزعجة لاستكشاف ما يحدث فى المنزل ... لأشاهد وليد واقفا على الأريكة البنية التى تمنعنا أمنا من الاقتراب منها قافزا فى لحظات راقدا فى أخرى .. وأرى والدى - الوقور جدا – مرتديا جلبابا منزليا جاثيا على ركبتيه أمام التلفاز يكاد يبكى مع هجماتنا المتتالية .. يصول ويجول .. يصرخ .. ينفعل .. جلست لأراقب المباراة مندهشا متسائلا (كيف تفعل كرة القدم بالبشر ما أراه ؟) و بعد ثوان من تواجدى أمام الشاشة و تحديدا فى الدقيقة 83 نزلت عدالة السماء على إستاد باليرمو .... ورغم أننا نعيش فى واحد من أرقى أحياء القاهرة وهو المعادى إلا أننى فوجئت بعدد ضخم من ردود الأفعال ...صراخ و ضجيج يملأ الأجواء .. شبابيك وبلكونات البيت تلقى إلينا بالكثير منه .. أبى يسجد على الأرض شاكرا .. يحتضننى بشدة .. وليد يتقافز و يتقافز على الأريكة .. أمى – رحمها الله - تخرج من المطبخ يدها غارقة فى الصابون لتصفق بكل ما أوتيت من قوة ثم ترفع صوتها بالهتاف الشهير (مصر) .. وجدتنى أرتعش .. انتفض جسمى مع إعادة الهدف

وبدأت أشارك أسرتى والشـارع.. الهتـاف الذى بدأته أمى – رحمها الله - (مصر / برابرابابا .. مصر / برابرابابا.. مصر / برابرابابا) و(جوهااااااريييييي .... جوهاااااااريييي .. أو أو) ... و من لحظتها وجدتنى مدفوعا لمتابعة صور و أخبار المنتخب فى الجرائد اليومية التى يشتريها أبى بانتظام، و منها إلى أخبار الزمالك و الأهلى .. ومنها لمتابعة أخبار الزمالك ... فانتماءاتك الكروية يحددها شخص ما أو موقف ما يقبع بعيدا فى مؤخرة ذاكرتك لكنك لو كنت مثلى لتذكرتـه جيدا.

لو كنت معجونا بكرة القدم مثلى لتذكرت نزولى فى صباح هذا اليوم فى عام 1993 لأشترى الأخبار و الأهرام والوفد لوالدى – رحمه الله - ... أرانى الآن بوضوح شديد .. طفلا فى الحادية عشرة ... يمشى متثاقلا بعد أن استيقظ من نومه مغصوبا، يتجه مباشرة إلى عم رضا بائع الجرائد الذى يجلس بالقرب من المنزل، جريت بعيونى على صفحات الجرائد المتراصة بجوار بعضها، إلى أن شدنى عنوان رئيسي على صفحات جريدة الجمهورية، و رغم أن ذلك كان منذ سنين طويلة إلا أننى أذكر ما كان يحمله هذا العنوان من معان ... فوز (نادر) للزمالك على أشانتى كوتوكو - و هو مانشيت يمجد فى حارس مرمى فريقنا آنذاك وهو النجم الخلوق (نادر السيد) الذى كان نجم المباراة - ، ويحتفى

المانشيت بالزمالك فيقول .. الزمالك يحتفظ بكأس إفريقيا للأبد .. الزمالك بطل على حساب أشانتى كوتوكو بضربات الترجيح .... وصحيح أننى لم أشتر الجريدة ... لكن العنوان البراق وحده كان كافيا لأعود إلى منزلى فخورا بالإنجاز (المصرى) الذى حققه الزمالك، وأتحدث مع أبى و أمى و أخى لأيام وأيام عن الزمالك، ولتبدأ فى تلك الفترة كرات دمى البيضاء فى التحول ببطء وثبات إلى كرات دم بيضاء بخطين أحمرين .

الزمالك كان يكسب البطولات، الزمالك كان يصارع الكبار ويهزمهم، الزمالك وقتها كان يلعب كرة القدم مخلصا متحمسا راغبا فى الفوز ... هناك لحظة أخرى تلح على ذاكرتى إلحاحا غريبا، وهى لحظة فارقة بالفعل فى حياتى، حيث إنها زادت من معدل زملكويتى بشدة، ساهمت بشكل كبير فى وقوفى بإباء أمام أى أهلوى يرغب فى منازلتى كلاميا أو يرغب فى التقليل من شأن المملكة الزملكوية .. هى لحظة تسجيل أيمن منصور لاعب الزمالك المخضرم لهدفه التاريخى سنة 1994 فى مرمى الأهلى ليفوز فريقى ببطولة كأس السوبر الإفريقية ... تحمل هذه المباراة التى أقيمت فى جنوب إفريقيا معنى خاصا جدا لدى، فهى بطولة (سوبر) نكسبها ضد الأهلى، ويحرز هدفها نجم شهد له الجميع بالأخلاق و الكفاءة داخل الملعب، فى تلك الفترة كان عمرى 12 سنة أى أن وعيى الكروى كان بادئا فى التشكل ... ولك أن تتخيل

وقع هذا الفوز على مراهق مثلى يشجع الزمالك بين أب و أخ يشجعان الأهلى .... فقط ما ضايقنى فى تلك المباراة هو أننا خسرنا فيها واحداً من أهم ركائز فريقنا فى ذلك الوقت و هو اللاعب الصعيدى الخلوق " حسين عبد اللطيف " والذى كنت أعشقه بحق رغم أن مركزه فى الملعب لا يسمح له بإحراز الأهداف وبالتالى لا يفتح له أبواب قلوب الجماهير ... خسرناه بسبب اشتراك محمد يوسف لاعب الأهلى معه بعنف ... وانتهى الاشتراك بكارت أحمر ليوسف، وعام كامل لم نر فيه عبد اللطيف بسبب إصابة الرباط الصليبى، كانت مباراة سجل فيها هدفاً وحيداً ليخط سطرا جديدا فى سجل البطولات الزملكوية الحافل .

" الأيام مفيش أسرع منها ".. هكذا كنت أسمع دوما من والدى - رحمه الله - ... فأرى الآن بوضوح ارتيادى المتكرر لمدرجات الدرجة الثالثة يمين المقصورة بإستاد القاهرة - وهو المكان المخصص لجماهير الزمالك - أجلس أحيانا أعلى المقصورة .. أحيانا خلف الحارس ... أحيانا أفشل فى دخول الإستاد ... أحيانا أذهب مع أصدقاء وشركاء القهوة لإستاد الإسكندرية أو الإسماعيلية لمشاهدة مباراة للفريق هناك، وتجرى أمامى الأيام .. كم من الدقائق مرت فى الملاعب .. آلاف من نقاط العرق سالت منى فى المدرجات .. ومئات من النقاط يكسبها أو يخسرها الزمالك ... عشرات المدربين .. آلاف التقسيمات

فى ملعب حلمى زامورا .. وتلهث أمامى الأيام، وأتذكر لهفتى لكى أنتظر العدد الأول من مجلة الزمالك ... وصراعى المميت للوصول إلى الأسطورة حازم إمام بعد شرائى لقميصه لكى أحصل على توقيعه عليه أثناء خروجه من تقسيمة صباحية للفريق .. أتذكر فرحتى وتصفيقى وصراخى مع أهداف الزمالك .. وتعود بى الأيام لأتذكر حسرتى عند خسارته للنقاط والبطولات... أتذكر مئات الصرخات التى تتوقف فى حلقى بغتة حين أكون غارقا فى وصلة من وصلات التشجيع و يخترق عينى هدف آخر فى مرمانا، أتذكر انفعالاتى المتعددة على الأهلوية من أبناء منطقتى، جيرانى و أصدقائى، عشرة عمرى، بسبب سخريتهم من الزمالك ... أتذكر مرارة السخرية خاصة عند مجيئها من أبى و أخى الأكبر (اللذين يشجعان الأهلى بحماس)، أتذكرنى مراهقا ملقيا بين أحضان أمى أبكى بمرارة لخسارة الدورى .. بكيت وقتها من مرارة الخسارة و من ألم تلك (الطوبة) التى شجت رأسى بعد أن تلقيتها من مشجع أهلاوى غبى .. لكننى قطعا لم أكف عن الذهاب إلى الإستاد – أكررها – لتأدية واجبى نحو فريقى .

أرانى فى مرحلة لاحقة أجرى محاولا تفادى الخيول التى تتراص بجوار بعضها يمتطى كلا منها جندى هزيل ترسم لك من الجانبين طريقا تسير فيه إلى بوابة دخول الإستاد .. فتلك الخيول و رغم أنها هزيلة مثل راكبيها إلا

أنها وككل ما هو تابع للشرطة فى مصر،عصبية المزاج إلى حد بعيد .. ويبدو أن الزحام الذى يتسبب فيه تدافع الجماهير يزيد من حدة مزاجها ويوترها للغاية ... و مع محاولاتى تلك أتفادى أيضا مجموعة المخبرين أو الأمناء التى تقوم بتفتيش جماهير الزمالك بعناية شديدة – و أعتقد أن جماهير الأحمر لا يتم تفتيشها بنفس الحماس - .. أتفاداهم فقط لأننى وكأى مدخن أحمل معى قداحة ..وهم لا يرغبون بها فى حوزتى .. أتفاداهم لأننى و كأى إنسان سيجلس على مقعد لمدة قد تصل إلى سبعة أو ثمانية ساعات قد أشعر بالعطش و لذا أحمل معى زجاجة مياه معدنية كبيرة باردة ... وهم لا يرغبون بها فى حوزتى .. و تمر الأعوام، يتبقى فى ذاكرتى ما يستحق البقاء فيما يتعلق بكافة جوانب حياتى و يستقر فى تلك الذاكرة كل ما هو زملكوى .

أتذكرنى وقد بكيت، من الفرحة والحسرة يوم الإثنين 2 يوليو 2007 ... يوم إقتربنا – و كنا قاب قوسين أو أدنى - من الحصول على كأس مصر بعد عدد من السنوات العجاف التى خلا فيها السجل الأبيض من البطولات ... و فى مباراة حماسية مع الأهلى كنا فيها الأفضل بلا مبالغة بدأ عمرو زكى بالتسجيل فى الدقيقة 48 .. وسارت المباراة هدف لنا يتبعه هدف لهم ... إلى أن سجل (الشيخ) أسامة حسنى والذى قلما يشارك مع فريقه هدفين قاتلين للأهلى فى الدقائق 105 و 107

لتنتهى المباراة (التاريخية) بخسارتنا لبطولة كنا نستحقها عن جدارة بنتيجة 4 – 3 ...شاهدت وقتها آلاف البشر يغرقون فى نوبة من الذهول والبكاء أحيانا ... شاهدتهم يقفون و هم ينادون رجالنا فردا فردا لتحيتهم .. شاهدتهم يصفقون بحرارة لرجالنا بعد أدائهم المتميز وخسارتهم المشرفة بكل المقاييس ... ولا أعلم سرا يجعل هذا (الأهلى) يفوز باستمرار !!! ... كنا يومها الأحسن بالفعل، كنا بالفعل الأجرأ، كان هنرى ميشيل المدير الفنى للزمالك عبقريا يومها، رغم أنى كرهته فيما بعد حينما جلس على الدكة بلا حراك وهو يشاهد فريقه العظيم يهان كرويا فى موسم 2009 – 2010 ، قبل أن يأتى العميد ليرتب الأوراق و يعيد الأمور إلى نصابها .

أعترف بأننى لم أعرف أبدا سر الفوز الدائم للأهلى ... عندى كأى زملكوى ما يشبه اليقين بأن الحكام واتحاد الكرة المصرى والحروب الإعلانية الخفية لها دور فى ذلك بكل تأكيد، لكننا فى المقابل كنا نخسر نقاطا كثيرة .. نعم هم يفوزون بالتحكيم .. يحصلون على درع الدورى بالتحكيم .. يلعبون فى كأس العالم للأندية ثلاثة مرات بالتحكيم !!!! ... لكننا أيضاً كنا نخسر و نخسر و نخسر لسر لا أعرفه، و يبدو أننى سأموت قبل أن أعرفه ... و على مدار الأعوام تغير وجه الزمالك مرات و مرات، تغير لاعبوه ومجالس إدارته و أجهزته الفنية ... لكنه ظل

يحترف الخسارة .. يتقنها .. حتى أننى شعرت فى بعض الأوقات أن الزمالك أوشك على إدمانها .. للأسف .

أرانى فى مواقف عديدة ترتبط بتشجيع الزمالك وحبى الذى يصل إلى درجة العشق والهوس، لكننى لن أنسى أبدا يوم الأثنين 13 أغسطس 2007 .. وهو اليوم الذى بدأ فيه الزمالك مشواره فى الدورى العام لموسم 2007 – 2008 ... يوم مباراة الزمالك مع الإسماعيلى التى خسرها الزمالك أمام أصدقاء الماضى فى الإسماعيلية بهدف قاتل للاعب العراقى مصطفى كريم فى الدقائق الأخيرة... كانت تلك المباراة كضربة البداية التى جاءت أضعف من المتوقع ، خصوصا وأننا وقتها كنا كجماهير متعطشين لدرع الدورى بعد خسارته لصالح الأهلى لثلاثة مواسم.. مباراة هى ككثير من مباريات الزمالك .... لكنها تحمل معنى خاصاً ومتميزاً عندى لذا أذكرها جيدا، ذلك أنها كانت أولى المباريات التى أحضرها فى مدرجات الدرجة الثالثة كعضو ناشط وفاعل فى مدرجات الدرجة الثالثة كواحد من (ULTRAS WHITE KNIGHTS) ، أولتراس الفرسان البيض، والتى تعرف فى الجرائد والمجلات وبين جموع المصريين باسم ... أولتراس زملكاوى .

ثانى ربع ساعة

« اللـيبـرو »

الجمعة 10 أغسطس 2007 ... تشير عقارب الساعة إلى السابعة مساءاً و أنا أنفث الدخان القليل الذى ينبع من شيشتى التى قام القهوجى برص حجرها السادس لتوه ... نفس عميق ... رأسى لأعلى ... أنفث الدخان ... تلك هى حركتى المعهودة .. ذلك هو قانون دخول قص البرج إلى رئتى إذا شئت الدقة، لكننى اليوم أفعلها بعصبية زائدة ... أفعلها بتوتر شديد .. أفعلها و قد اقتربت جدا من إلقاء " لى " الشيشة أرضا ومغادرة المكان ... لولا أننى لا أستطيع، فأنا فى انتظار شخص مهم للغاية .

يزيد من توترى أن المقهى جديد كليا علىَّ، أجلس وحيدا، وسط عشرات الوجوه التى لم آلفها، أجلس على كرسى بلاستيكي أصفر اللون، داخل مقهى واسع جيد التهوية بالحى السابع فى مدينة نصر، بالقرب من مكان الاجتماع الذى سألتقى فيه إخوانى فى المجموعة الأكثر نظاما وتدفقا فى مدرجات الزمالك ،مجموعة الأولتراس .

كان الاجتماع تحضيريا، نلتقى فيه قبل الموسم بأيام قليلة ليعلمنا جميع المسئولين عن المجموعة بمسئولياتنا تجاه الزمالك فى الموسم القادم، و ليرفعوا من ثقافتنا الكروية قليلا ... كان الاجتماع بمثابة الحصة الأولى التى سأحضرها فى مدرسة الأولتراس، ولهذا كان يملؤنى التوتر والحماس .... سئمت من الشيشة فألقيت بخرطومها و الذى يدعونه (اللَّى) جانبا، وأخرجت

سيجارة ملتوية من علبتى التى فقدت آخر سجائرها لتوها ... أزعجنى أزيز هاتفى المحمول، فأرد على شيماء قائلا إننى سأبقى فى مدينة نصر لبضعة ساعات ، وأننى لن أقابلها الليلة نظرا لانشغالى بموضوع مهم على القهوة و كالعادة ترد :

" دايما حاجة مهمة يا مصطفى ... دايما !!! " .

أرد ببرود و صرامة لثقتى فى أنها لن تتأثر :

" أيوة، دايما حاجة مهمة ... وبعدين انتى محموقة ليه كدة ؟ ... هو احنا بينا ميعاد النهاردة ؟ " .

ترد بصوت باكٍ :

" لا ... مفيش بيننا مواعيد ولا أى حاجة ... سلام يا مصطفى " .

أنهى المكالمة بدون سلام ... حرارة الجو تزيد من توترى ... يكاد دمى يغلى و أنا أنظر فى ساعة الموبايل بسرعة لأجدها قاربت على السابعة و الربع و لم يأت ناصر بعد ... لماذا تأخر هذا الحلوف ؟ .. لماذا ؟ !!!

ناصر .. هذا الشاب السودانى الذى أتى من جنوب غرب بلاده فاراً، هاربا من واقع أليم هناك، واختار أن يعيش معنا واقعنا المرير هنا .. والحقيقة أننى أعشق هذا الشاب فعلا، طويل القامة فقد يتخطى طوله المترين ولون بشرته يذكرك بلون رغيف خبز تركته فى الموقد لأيام

فاحترق ليصبح لون طين الأرض، لك أن تتوقع طبعا أن يكون لون بشرته موقع تندر دائم ومستمر، حتى أننى أتندر عليه دوما، لكننى اجزم أن لون قلبه يغاير لون بشرته تماما، فهو طيب القلب إلى حد بعيد، لا يعبأ بكلماته أحيانا وهو ما يوقعه فى العديد من المشاكل، إلا أن طيبة قلبه تعفيه من أية عقوبات مادية أو لفظية قد تلحق به، يحيا هو ظروفا قاسية بحق، فقد عرفت فى مرحلة سابقة لهذا اليوم أن ناصر يعمل هنا كبائع لصنوف متنوعة من العطارة يأتى بها من مكان مجهول .. ويجلس على هذا الرصيف الذى يصل بين مسرحى الطليعة والقومى بالعتبة، مادا قدميه للأمام جالسا بلا حراك منتظرا رزقه الذى غالبا ما يأتى فى صورة امرأة مصابة بالسكرى أو رجل يعانى مشاكل زوجية فى فراشه .. و كل يسعى إلى علاج عشبى فعال من عند ناصر .

خمنت فيما بعد أن ما يبيعه ناصر أعشاب بالفعل، لكنها لا تعالج أى شىء فى الواقع، لذا أجده دوما سعيدا مبتسما، فهو يبيع لاشىء ... يجلس طيلة النهار على الأرض صامتا، متأملا البشر يجوبون الأرض من حوله، حارقا أقل القليل من سعراته الحرارية.. ليبيع للغلابة هذا اللاشىء معتصرا جيوبهم أكثر فأكثر ، ثم يلملم أشياءه والتى هى عبارة عن ملاءة قذرة تحوى بعض الأكياس خفيفة الوزن عديمة المفعول ويضعها كأمانة يومية عند أحد الأكشاك المجاورة مقابل (أرضية) أو مبلغ مالى

يومى يدفعه لصاحب الكشك .. ثم يسير خطوات قليلة حتى يصل إلى محطة مترو العتبة، يقوم بتبديل الخط فى تلك المحطة المحورية (أنور السادات) ليشق به المترو هذا الطريق الممل إلى حدائق المعادى ... ينزل ويسير أمتاراً قليلة حتى يصل إلى شقته الضيقة الخانقة فى شارع (حسنين دسوقى) والتى يعيش بها مع تسعة آخرين من بلدياته....بلدياته الذين يحرص هو على عدم الاختلاط بهم كثيرا لأسباب قوية بالفعل لم أعرفها إلا بعد حين.. له في هذه الشقة ركن صغير، على الأرض طبعا .. ينحشر .. لينام مرتاح الضمير، رائق البال .

اتفقنا أو إختلفنا على التعاطف مع ناصر إلا أننى أراه أفاقا خفيف الظل، يعيش مرتديا عباءة أخلاقيات بالية عفاها الزمن، لا تلائمه إطلاقا، تشبه كثيرا عباءة أرسين لوبين، فهو لص يسرق القليل من عرق الناس، لكنه شريف فى ذات الوقت، يسرق ليعيش، يسرق ليظل حيا، ولم يسرقهم كرها، لم يسرقهم رغما عنهم، هو فقط لم يقل كل الحقيقة ... ولاشك أن ناصر وبمجرد النظر يكسب التعاطف لمجرد أنه أسود البشرة، ويراه السواد الأعظم من الناس غلبان، قذفت به الاقدار إلى هنا، ورغم وجود (العتبة) فى الكثير من دول العالم، إلا أن (العتبة) فى بلاده لا تتسع له و لذويه .

الغريب فى أمر ناصر أن اخلاقياته اكتسبت اللون المصرى بشدة وبطريقة لافتة للنظر فإذا استمعت معى

الى مفرداته لتخيلت أنه شاب آخر قادم من أسوان، فلسانه ينطق المصرية بسلاسة لا تخطئها الأذن وأخلاقه تقطر بالفهلوة المصرية وذلك رغم أنه يعيش هنا منذ فترة لا تتجاوز السنوات الثلاث ... صار مدمنا لشوارعنا فهو يعشق التجول فى شارعي شريف وطلعت حرب بوسط القاهرة، ويذوب عشقا فى شارع 9 الأنيق بالمعادى، والذى قال لى يوما إن التجول فيه ينسيه للحظات بعضا من همومه...يعشق مقاهينا، والحميمية التى جزم لى أنه لن يجدها فى أى مقهى آخر فى العالم، يعشق مشروباتنا الفقيرة التى تقدم فيها، يحتسى الشاى على ميه بيضا صيفا مثل أى مصرى محترف، ويطلب سحلباً أبيض منزوع الزبيب فى الشتاء ... لا يطلب مياها غازية أبداً لارتفاع سعرها بالنسبة إليه، لكنه يعشق الحلبة بالحليب فى الصباح الباكر، و القرفة بالزنجبيل بالحليب فى حالة الإصابة بدور برد .. يتابع أيضا أفلامنا السينمائية بشغف شديد، ويشاهد معظمها عبر الاختراع المصرى الأصيل .. (وصلة الدش) .. مستمع جيد هو لعمرو دياب و شيرين عبد الوهاب، مثله فى ذلك مثل معظم المصريين من سنه فهو يقترب من سنواته الثلاثين .. والأغرب أنه طلب منى يوما مجموعة من أغانى فرقة المصريين لأنه يريد و على حد قوله (تنضيف ودانه من مزيكة الموكروباصات) وأذكر أن الخجل كان يملؤنى وقتها

لأننى لم أكن أعلم أى شىء عن تلك الفرقة العبقرية، و أدين الآن لناصر بفضل هدايتى إلى طريقهم .. كان ناصر مثلى تماما يعشق هذا الكم من الارتياح النفسى الذى يستشعره المرء داخل مسجد السيدة زينب... ولا يفضل زحام مسجد سيدنا الحسين... ناصر مصرى طبيعى جدا يا سادة عن حق .

وفى الواقع أن كل ما سبق يمكن فهمه واستساغته وقبوله فالرجل يعيش معنا منذ شهور طويلة وقد يكتسب اللون المصرى بسهولة، فنحن يمكننا التأثير بسهولة على الأعراق والجنسيات المختلفة ... إنما ما هو صعب على إدراكى بكل تأكيد أنه كف عن تشجيع المريخ السودانى واتجه لتشجيع الزمالك المصرى .. ولما سألناه لم اخترت الزمالك يا ناصر؟ قال إن الزمالك أسد مريض .. وحش عملاق يقاوم الأغلال حول أطرافه.

" و ماذا فى هذا يا ناصر ؟!!! " .

رد بنظرة شاخصة : " إنه يذكرنى بنفسى !" .

ضحكت وسخرت منه كثيرا وقتها رغم أننى لم أفهم معنى جملته بالتحديد، لكننى فهمت فيما بعد، و تألمت للغاية حينما فهمت .

وكأى مشجع زملكوى أصيل بات ناصر يترك عمله فى العتبة ليمر بجوار النادى، يتعرف عليه، يتوق إلى

النظر للاعبيه أثناء دخولهم و خروجهم من البوابة، يجمع تاريخه من المقالات و الكتب، يتابع ما تيسر له من أخبار حول النادى و فريق كرة القدم، يحرص على اقتناء أعداد مجلة الزمالك، يتحدث بحماس عن النادى و يدافع عن كل قرارات مجلس الإدارة، يحدوه الأمل فى الغد كأى زملكوى آخر – وهى ميزة كبيرة يفتقدها الكثيرون - مؤمنا مثلنا جميعا بأن الزمالك يمرض ولا يموت، وأننا – المشجعين – كالأوتاد المتينة التى ترفع هذا الصرح بتكاتفها شيئا فشيئا .

أدمن ناصر إستاد القاهرة والأجواء الجماهيرية الحميمية الملتهبة، أدمن بعده الذهاب لإستاد الكلية الحربية رغم بعد المسافة نسبيا، بات مرتبطا بشدة – كحالنا جميعا – بالمارد الأبيض و تحول إلى قطرة من القطرات التى تروى أرض الفريق و كيانه ...
وبالممارسة وبحكم التعود أحب ناصر الجهود التى تبذلها روابط التشجيع المختلفة مثل Z L U أوZAMALEK LOVERS UNITED وترجمتها رابطة محبى الزمالك و التى تفرقت بعد حين.. وأيضا أحب مجموعة الألتراس المعروفة باسم <u>وايت نايتس</u> (WHITE KNIGHTS) حبا شديدا.. أحب دخلاتهم ***(والدخلات هى جمع كلمة دخلة بفتح الدال و هى تعبر عن العمل الفنى الذى يقوم به أفراد المجموعة قبل بداية المباريات)*** **وأَحَب أعمالهم الفنية المتنوعة التى ينفذونها**

فى المدرجات وتعجب لمجهوداتهم الكبيرة التى يبذلونها من أجل إسعاد الناس لدقائق معدودة، يستعرضون فيها فنونهم التى تعبر وبصدق عن حبهم للنادى و تثير إعجاب الجميع، ما عدا مخرج المباريات (فى التلفاز المصرى) الذى يصر على بتر جزء من اللوحة، جزء من الكلمة، جزء من الدخلة ليعطيك انطباعا مستمرا بأن هناك شيئاً ما ينقص مشجعى الزمالك وهو ما لا يحدث على أرض الواقع إطلاقا .. ولك أن تعلم أن زيارة واحدة منك لأى استاد داخل حدود الوطن أثناء أى مباراة للزمالك، وأنا أعنى بالفعل كلمة (أى مباراة) ، سوف تؤكد لك تلك الزيارة أن مخرجى المباريات يتربصون بالزمالك كفريق و كجماهير .

أحب ناصر الجلوس بالقرب من الأولتراس ليردد الهتافات المبتكرة معهم .. ثم تمنى أن ينضم إليهم .. تمسح فيهم كثيرا ليحقق ما تمنى ... أصبح يقترب منهم فى المدرجات بقدر المستطاع .. يتحدث مع أى فرد منهم حول المباراة ... يستفسر من أحدهم عن النداء الذى يرددونه ... حتى تجرأ فى مرة و ذهب إلى شاب من الأولتراس الواقفين قبل بداية إحدى المباريات بساعات سائلا إياه عن كيفية الانضمام للمجموعة ؟ ... عرف ناصر أنه لا شروط محددة، إنما هى مجموعة من التعليمات التى يجب تنفيذها قدر المستطاع .. و قد كان .

سألت الكثيرين من زملائى فى مجموعة الـ (WHITE KNIGHTS) عن سبب انضمامهم لها ... و جاءت الردود متشابهة إلى حد بعيد :

- (WHITE KNIGHTS) هى الأكثر عدداً .

- (WHITE KNIGHTS) هى الأكثر تأثيراً .

- (WHITE KNIGHTS) هى الأزهى فى المدرجات .

- (WHITE KNIGHTS) تقدم مزايا أكبر لأعضائها .

- (WHITE KNIGHTS) هى الأولتراس كما يجب أن تكون، ثقافة و طبيعة حياة ... لا مجرد مجموعة تشجع فريقها .

وأنا أعتقد أن (ULTRAS WHITE KNIGHTS) هى الكيان الوحيد الذى يستطيع الجمع بين كل هذا العدد من البشر على اختلاف انتماءاتهم و دياناتهم و ألوان بشرتهم، و طبقاتهم الاجتماعية، ومستواهم المادى تحت راية واحدة ... مهندسين، أطباء، عمال، صيادلة، أساتذة فى الجامعات، طلبة فى مختلف المراحل التعليمية، محامين، ضباط، مسلمين وأقباط، شباباً و أطفالاً و رجالاً و كبار سن، أعتقد أنك لن ترى ذلك متجسدا إلا فى مجموعة أولتراس قوية كما الحال فى

الوايت نايتس، أو فى حالة حرب تخوضها البلاد ... وقد لا نجنح عن الحق إذا قلنا إن مجموعة أولتراس وايت نايتس بكل بهائها و قدرتها على التوغل و السيطرة، كانت سببا رئيسيا فى تفكك باقى مجموعات التشجيع الزملكوية و ذوبان الجميع داخل إناء الفكر الجديد ... فكر الأولترا .

روحى أولترا.... حياتى أولترا... عقلي أولترا ... هذا كان مبدأهم .. وهكذا كانوا ينطقون مبادئهم، فهم ينطقونها أولترا كما تنطق باللغة الإيطالية، وذلك لأن إيطاليا هى البلد التى كونت قاعدة ينتشر من خلالها فكر الأولتراس فى العالم كله فى ستينيات القرن الماضى، وهذا رغم أنها لم تكن البلد الأولى التى بدأت فيها الفكرة، وعلى حسب معلوماتى فإن بداية ظهور مجموعات التشجيع لفرق كرة القدم المختلفة والذى مهد لظهور فكر الأولتراس كان فى بداية الاربعينيات فى أمريكا الجنوبية ... تحديدا فى البرازيل، فقد ظهرت وقتها مجموعة تسمى باسم (تورسيدا) على اسم نوع من أنواع التشجيع الكرنفالية فى هذه الدولة العاشقة للكرة، واستمرت مجموعة التورسيدا فى التشجيع بحماس، حتى كُتب لهم الظهور والانفتاح على العالم بعد سنوات قليلة، فقد استضافت البرازيل كأس العالم عام 1950 و كانت البرازيل وقتها بطبيعة الحال محط أنظار العالم أجمع، وتابع الجميع بانبهار تلك الكرنفالات التى تصنعها

مجموعة التورسيدا فى المدرجات، و كان طبيعيا أن يتأثر البشر بذلك الأسلوب فى التشجيع، لينتقل الفكر بعد ذلك إلى جماهير أوروبا وخاصة دولها الفقيرة، وظهرت أول مجموعة فى أوروبا باسم TORCIDA SPILIT والتى ظهرت فى كرواتيا ، تحديداً فى أكتوبر 1950، و منذ هذا التاريخ بدأت تظهر العديد من مجموعات التشجيع فى العديد من الدول، حتى جاءت حقبة الستينيات، وحتى اقتنع الطليان بالفكر الجديد .

كان الطليان أول من أطلق لفظ أولتراس (ULTRAS) على هذا النوع من التشجيع، و قد ترجع التسمية إلى أن كلمة أولتراس تعنى حرفيا الزائد للغاية، و لك أن تعلم أن الطليان يعشقون بلادهم بحق، ويبغون التميز ويلهثون وراءه، لذا فيبدو أنهم كانوا يريدون إثبات أنهم سيصنعون شيئا فائقا فى المدرجات، شيئا مرعبا، شيئا متميزا، قد يغير طريقة التشجيع فى أرجاء العالم، ويبدو أن اختيار الاسم كان مجرد مقدمة، و أنهم قرروا بالفعل أن يتميزوا فى هذا المضمار عن غيرهم، و قد كان، فقد أرسوا لهذا الفكر الجديد مجموعة من المبادىء و القوانين المحددة و التى يلتزمون بها جميعا تحت أى مسمى، وتمثّل أول ظهور رسمى لهذه المجموعات هناك فى مجمـوعة تسمى ULTRAS TITOلتشجيـــع فريق سـامبـدوريا ومجمـوعـة GRANTA لتشجيع تورينو و FOSSA DEL

LEANEلتشجيع الميلان ..... ومن إيطاليا انطلق الفكر الجديد لجميع دول أوروبا، ومن بعدهم انطلقت فى كل أنحاء العالم ، واتخذوا جميعا من الكورفا (درجة تالتة) مكانا لهم، فهى قلب الملعب، و فيها أرخص التذاكر و التى يمكن للجميع الحصول عليها .

مؤمن أنا بفكر الأولتراس، وكذلك زملائى فى المجموعة، بهذا يؤمنون ... هذا ما يصدقون .. و هذا ما آمنت به معهم ... ما صدقته و ما صدقه ناصر ... ما نعيش لأجله ... هذا ما أترك فودافون و شيماء و أبى بسببه ....وهذا ما يترك ناصر الكثافة البشرية فى العتبة لأجله و يذهب بكامل إرادته إلى الكثافة البشرية البيضاء بالإستاد .. ناصر آمن قبلى بأسابيع قليلة ... ناصر كان إيجابيا قبلى ...ناصر صدق قبلى ... ناصر وجد قبلى ... ناصر أصبح فارسا من الفرسان البيض قبلى بأسابيع ....ناصر كان سببا رئيسيا فى إطلاق سراح هذا الوحش الزملكوى الأبيض الرابض بداخلى .. ولن أنسى له هذا أبدا .

ناصر .. فارس أسود البشرة مرتد عباءة بيضاء تشبه عباءة الشيوخ ويلثّم وجهه الأسمر النحيل بعلم الزمالك، هكذا كان يظهر دوما على شاشات التليفزيون ... فلون بشرته يغرى أى مخرج لتسليط كاميراته عليه ولو للحظات ... خاصة أن هذا الفارس يقف فى المدرجات غير عابئ بسير المباراة بيد أنه يشجع بمنتهى الحماس

وتمتلئ عيناه بنظرة المؤمن العازم على تأدية واجباته مهما كلفه الأمر .. هكذا كان، و هكذا كنت أتابعه بعينى حينما أقابله أحيانا عندما يأتى مكانى فى المدرجات مجاورا لمكانه ... أتابع حماسه الشديد فى المدرجات و الذى يتناقض تماما مع شكله الذى تنتفى عنه المصرية للأسباب سالفة الذكر .

جرأتى، كانت هى كل ما يفصلنى عن الانضمام للمجموعة وقتها .. تفصلنى عن التعبير عن زملكويتى الحقة ... تفصلنى عن التعبير عن ذاتى .. تفصلنى عن التواجد فى المدرجات كلاعب أخير، كليبرو الفريق، هذا اللاعب الذى يقف فى آخر الملعب مدافعا عن فريقه ضد الهجمات المتوالية وحتى صافرة النهاية، يحاول الفوز ويشجع زملاءه و يحفزهم حتى الرمق الأخير ... فقط جرأتى تفصلنى عن اجتماعات الـ White Knights التى يعقدونها بشكل دورى ... تفصلنى عن الوقوف فى الـ (كورفا سود) وهى بالمناسبة كلمة إيطالية أيضا تكتب Curva Sud بلغتهم و تعنى حرفياً " المنحنى الجنوبى " أو المدرج الجنوبى بالمعنى الدارج ... والمدرج الجنوبى عندنا فى مصر هو المدرج الذى يحتل الجانب الأيمن من المقصورة الرئيسية للاستاد، و هو الجانب المخصص للجماهير البيضاء ... ولهذا قد تسمع أحيانا يا سيدى العزيز من خلال التلفاز أو من داخل الملعب هذا النداء الشهير الخاص بالأولترا ... (فى الكورفا سود /

جمهور أسود / ورا الزمالك فى كل إستاد موجود / روحنا فداه / دايما معاه / بننادى بإسمه فى كل بلاد الله)، و هو ما يدل على أهمية المصطلح و انتشاره بيننا كمجموعة أولترا، نعم جلست فى الكورفا سود كثيرا جدا ... لكننى كنت أجلس وقتها كمشجع زملكوى عادى ... ومن اليوم سأقف فيها كفرد أولترا حقيقى ... فقط هناك مشكلة، وهى أن ناصر لم يأت بعد هو ومحمد سمير الشهير بالمشاكس، أحد أعضاء مجموعة الأولتراس وايت نايتس، و الذى سيصحبنا لأول اجتماع للأولتراس فى حياتى .

ستسألنى و لماذا ذلك الإصرار على رغبتى فى أن أصبح فرد أولترا ؟! لماذا اعترتنى هذه الرغبة بهذا التدفق و فى هذا الوقت تحديدا ؟!! وإجابتى عليك تتلخص فى كلمة واحدة ! .. أمى .

أمى ... هذا الفصل الطويل من كتاب عمرى والذى لن توفيه حقه كلمات الدنيا إن جمعتها .. حصلت أمى على ليسانس الآداب فى جامعة القاهرة، درست هى الفلسفة وظلت تدرسها لطلبة المدارس لأجيال وأجيال، و استطاعت أمى أن تنمى حبى للفلسفة عبر السنين ... كانت أمى (بنت الجيران) بالنسبة لأبى، أحبها وبادلته الحب، طلب منها الزواج فوافقت ، وانتقلا سويا من منيل الروضة، هذا الحى الهادئ الذى شهد ميلاد كليهما ونمو قصة الحب التى جمعتهما، و إختارا العيش فى شقة

صغيرة تطل على شارع الهرم الرئيسى، و مع ميلاد وليد تغير وجه الدنيا للأفضل، ترك أبى عمله فى شركة البترول التابعة للحكومة و انتقل للعمل فى شركة خاصة ضخمة بمرتب كبير، و تركت أمى المدرسة التى كانت تعمل بها، و بدأت التدريس بمدرسة تجاور بيتها الجديد فى المعادى .... و لما أتم وليد عامه الثانى سافر أبى للمملكة العربية السعودية ليعمل فى فرع الشركة هناك، وسافرت أمى ووليد معه، وبعد عامين عادت أمى لتلدنى، وتبدأ مباشرة تربية كلانا، وليد وأنا، ... وبين مدرستها و بيتنا ومذاكرتنا، قضت أمى عددا لا بأس به من السنين، حتى عاد أبى إلى فرع القاهرة مرة أخرى، ليبقى بجوارنا قدر الإمكان .... و تستمر الحياة .

أمى تلك الخزانة التى تحوى أسرار ثلاثتنا أبى ووليد و أنا ... أمى ذلك المفتاح الذى بمقدوره حل كل الألغاز ... وفك جميع الطلاسم ... واحتواء كل الأزمات، أمى التى تركتنا عمدا فى وقت حاسم للغاية ... تركت أبى ينهى سني عمله الطويلة فى مجال البترول لاقترابه من سن الستين ... تركت أخى فى مقتبل حياته العملية بوزارة الداخلية كضابط مازالت فرحته بالدبورة الثالثة التى نالها لتوه لم تنته بعد ... وتركتنى غارقا فى دوامة، بين مطرقة عمل لا أحبه و فتاة تعشقنى و يقطّعنى ضميرى إربا بسبب أننى لا أبادلها الحب، وسندان أب قلما يتواجد لينصح ويرشد، وأخ يتسلط ويتعالى بلا سبب معلوم ...

تركتنى أمى فى نوبة اكتئاب شديدة الوطأة، تركتنى قبل أن تعلم كم أحبها، قبل أن أرتمى فى أحضانها لأودعها .

الجمعة الثامن عشر من مايو عام 2007 ... يوم سأتذكره ما حييت، يكاد يكون التاريخ الوحيد الذى أتذكره بعيدا عن كرة القدم .. يوم اصطدم أوتوبيس تابع لهيئة النقل العام بأمى التى كانت تعبر الطريق فى هذه اللحظة لتصاب إصابات بالغة فى أنحاء متفرقة من جسدها، و ...، و تنتهى حياتها بعد دقائق معدودة .... ماتت أمى بعد اصطدام مروع بين وحش حديدى يجوب شوارع المعادى بسرعة خرافية و بين جسدها الضعيف ... اصطدام طار بأمى لعدة أمتار و دفعها لتطير على الحديقة الكبيرة التى تحتل مساحة لا بأس بها من ميدان الجزائر، و ينتهى كل شىء .

عاقبوا السائق ؟!! .. نعم .. عاقبوه عقوبة إدارية وجنائية كبيرة بالحبس لمدة سنة و الفصل من العمل ... فقد هو عاما من عمره كان سيعيشه وسط أبنائه و أسرته، مقابل سنين – يعلم الله كم هى – فقدنا أنا وأخى و أبى فيها تلك الأم التى كانت كحائط الصد الأخير و الحصن المنيع لكل منا ... أنا فقدت أمى لأن سائقا غبيا آخر كان يسير مسرعا غير عابئ بمن حوله من البشر ... فقدت أمى لأنه قرر أن يسير بسرعة ويثبت لمن حوله أنه سائق متمكن، فأثبت لأسرتنا أن قضاء الله لا مفر منه فى أى وقت و أى مكان .

تركتنى أمى وحيدا، سقيما، شاعرا بمرارة لا حد لها، تركتنى أمى و هى تشفق علىّ وعلى حالى و ابتعادى عن كل المقربين منى ... كانت أمى أكثر من يلمس مشاعرى و يتفهمها، كانت الوحيدة التى تدرك أننى لا أتخذ ركنا قصيا لأننى أهوى ذلك، بل كانت تعلم يقينا أننى خائف، تملؤنى الفوبيا الاجتماعية التى تمنعنا من التقارب والتودد لبعضنا البعض ... كانت تعلم أن حل معضلتى لا يملكه سواى ... لذا فقد كانت تريدنى أن أعبّر عن ذاتى.. وأن أفسر ما بداخلى من مشاعر، و أذكر أنها قبل وفاتها بيومين قالت :

" حالك مش عاجبنى يا مصطفى !! " .

كعادتى رديت بدون تركيز ... :

" ولا عاجبنى يا ماما " .

قالت :

" انت بتحب الزمالك أد إيه ؟ " .

فابتسمت ولم أرد ... كانت تعلم أننى أعشق الزمالك، و تعلم أنه خط أحمر، وأن الاتهام الأكبر بالنسبة لى هو أن يطعننى أحدهم فى زملكويتى.

تبعت جملتها بأخرى دون انتظار ردى!!

" ساعات بحس انك ما بتحبش الزمالك بجد ... لأنك مش بتعبر له عن حبك، ما تتكسفش يا مصطفى .. لما تحب حد قوله أو وريله انك بتحبه... " .

كالعادة لم أفهم .. كالعادة تركتها وسرحت بأفكارى فى اتجاهات أخرى .. كالعادة لم أكن معها إلا بنصفى أو أقل ... لو كنت أعلم ما يخبئه القدر لارتميت تحت أقدامها صارخا و معبرا عن حبى لها .

لكننى لم أنس أبدا أنها نصحتنى بالتعبير عن حبى ... ولقد استوعبت الدرس جيدا، فبعد وفاتها بأسبوعين قضيتهما فى الانغلاق و الانعزال فى المنزل، مطلقا لحيتى، مكتئبا، عازفا عن كل شيء، بعد أسبوعين كرهت فيهما كل شىء، العمل، و الموسيقى، و الأحلام .. راجعت كلماتها بدقة و قررت أن اعيش ما تبقى من عمرى معبرا لكل ما و من أحب عن حبى، اعتبرت كلماتها تلك كوصية واجبة التنفيذ، و لهذا جمعتنى جلسات ودية متعددة بأبى، ساهمت بشكل كبير فى تقليل حجم الفجوة بيننا ... سألته لم كان يعاملنى بجفاء ؟ لماذا كان يتجنبنى ؟ هل لأننى فشلت فى دخولى كلية الهندسة فعلا ؟! .. هل لأننى رفضت تقديم أوراقى إلى كلية الشرطة مثل وليد ؟ .. هل لأننى فضلت الفلسفة و بحورها على الواقع العملى ؟ هل لأننى زملكوى وهو ما أثار له فعلا بعض المشاكل من جراء المشاحنات المتكررة بينى وبين بعض جيرانى و أبناء منطقتى ؟ ... وأذهلتنى ردود أبى واكتشفت أن له

مبررات منطقية فيما كان يفعل طيلة السنوات الماضية وأن ما يدور فى رأسى لا أساس له ، والأهم .. أننى تأكدت من أنه يحبنى بحق .

عرفت أنه قرر أن يتركنى لحالى، هو يثق فى تربية زوجته لى و يعلم أننى مستقيم الأخلاق، فقرر و منذ زمن أن يتركنى و شأنى، نعم كان يعاملنى بجفاء لأننى شخص أعامل كل من حولى بجفاء مماثل ففكر أن يذيقنى من نفس الكأس ... سألته لماذا يتجنبنى ؟ فأفحمنى قائلا إننى لا أتواجد فى المنزل تقريبا ليتعامل معى ... قال إن عدم دخولى كلية الهندسة هو نصيب لا أكثر ...قال إن عدم التحاقى بكلية الشرطة هو قرارى لا قرار أحد ... قال إن عصبيتى للزمالك أمر مؤقت و سينتهى عندما يتقدم بى العمر، وأنه يتذكر نفسه و هو يماثلنى فى العمر و عصبيته الزائدة آنذاك للأهلى ... قال أيضا كلمات يتردد صداها فى أذنى إلى الآن :

ـ انت كدبت على نفسك و صدقت الكدبة يا مصطفى ... عيِّشت نفسك فى وهم كبير اسمه الزمالك ... وتقريبا تركيزك مع الزمالك ده نساك اننا موجودين فى حياتك !!!

تركيزى مع الزمالك .. صدق أبى .. فأنا فعلا أعيش كالمجذوب ... لقد ندهتنى النداهة البيضاء الجميلة و انتهى أمرى ... أحب الزمالك و هذا قدرى ... أحب موسيقى الترانسات و هذا قدرى .. أحب قراءة الروايات

والقصص و هذا قدرى ... وأنعزل عن بقية تفاصيل حياتى وهذا قدرى وقدر كل من يعرفنى .

انتهى أمر علاقتى بأبى على خير .. صرنا أكثر ارتباطا ببعضنا البعض .. حتى إننى اصطحبته معى إلى الإستاد أكثر من مرة، جلسنا طبعا فى مدرجات الدرجة الأولى، حيث الناس الأكثر هدوءا وصخبا، ففيها لن تحدث مشاكل إذا انكشف أمر انتماء أبى للأهلى ... صرنا نتحدث فى كل الأمور تقريبا .. صار يشجعنى ... صرت أستمع إليه و يستمع إلى، والأغرب أنه لم يعترض على الكثير من تفاصيل حياتى كما كنت أتوقع بل على العكس كان متفهما للغاية فى كثير من الأمور، ناصحا لى فى مواضيع عدة .. اعترض هو على علاقتى بشيماء ... اعترض على إغراقى فى الزملكوية ... بيد أنه تفهم موقفى من العمل، تفهم عدم وجود أصدقاء فى حياتى، تفهم أزماتى مع وليد، بل إنه وعدنى بمحاولة تلطيف الأجواء بيننا بجدية أكبر، ناقشته كثيرا وجادلته مرات ... تستطيع القول بأننا صرنا أبا وابنه فى أقرب الصور إلى المثالية .

وجمعتنى جلسات شبيهة و إن كانت أقل عددا و تأثيرا بوليد .. لأنه وكالعادة كان باردا أكثر من اللازم فى كل مرة ... سخيفا أكثر من اللازم فى أكثر من مرة .. كان أبى ملتزما بوعده و حاول بالفعل تلطيف الأجواء بين الشقيقين، بين ولديه، أذكر أنه دعانا مرة إلى الغداء فى

مركب فخم على نيل القاهرة، ملأنا الدنيا حديثا و نميمة على بيتنا و أحوالنا و أحوال أفراد العائلة التى انقطعت العلاقات بيننا و بينهم .... بيد أن هذا الصخب كان يتسبب فيه أنا و أبى فقط، وليد كان صامتا ... شاردا ... ينظر لأبى نظرات تحمل العديد من المعانى، تتراقص فى عيونه نظرات الإشفاق و الحزن، و ينظر إلىّ ببرود و استهزاء ... و يبدو أنه لم يكن على استعداد لتذويب جبال الجليد التى تقف بينه و بينى بهذه السرعة .. ويبدو أيضا أن وفاة أمنا – أو بالأحرى أسلوب وفاتها - قد حوله إلى كائن أقل إنسانية، أكثر شراسة وعصبية ... ذلك إذا أضفنا انه قضى سنوات لا بأس بعددها من عمره كشرطى ناجح، و هو ما أكسب أخلاقه صبغة عنيفة إلى حد ما ... كان وليد قد انتقل لتوه للعمل فى قسم الوايلى الذى يقع فى منطقة العباسية، يعمل طوال الليل و النهار، كان يبدو كمن يهرب من واقعه المؤلم، أعتقد أنه كان يحاول تناسى وفاة أمنا بإغراق نفسه فى العمل، يحاول أن ينسى وجهها بين وجوه المجرمين، وفاة أمى أثرت عليه بلا شك، فحاول أبى تعويضه نفسيا بأن اشترى له سيارة جديدة، لكنه لم يبد أى سعادة، أخذ مفاتيحها بهدوء وشكر أبى دون أن يضيف حرفا ... أعلم أن راتبه الضئيل (و الذى يقل عن راتبى بكثير) يزيد من أعبائه النفسية، و أعلم أيضا أنه يوقن بأنه لن يستطيع الارتباط بأى فتاة بمرتب كهذا، صحيح أن أبى لن يتركه، لكننى

أعرف ما يكفى عن وليد واعتزازه بنفسه، أعرف أنه لن يعيش مع زوجته من جيب أبيه .

وليد طيب القلب فعلا، كان مرهف الحس يوما، لكنه صار كأنبوب غاز مضغوط يُخشى عليه من الانفجار فى أى لحظة، كان وليد أكثر من يخشى هذا الانفجار، لذا فقد كان يتحاشانا جميعا، كان يخرج بعضا من إحباطاته فى العمل، لكنه كان خائفا مثلى تماما.. كان خائفا من الوحدة مثلى تماما، لكنه وبثبات يحسد عليه كان يهرب منها إليها، يعزل نفسه عن أقرب الناس إليه خوفا من أن يعيش معهم بعضا من الآلام، يخاف أن يضغط على أبينا ماديا فيهرب منه و يزيد إصراره على الاكتفاء الذاتى، يخاف علىّ وعلى مستقبلى فيحاول أن يزيد من الضغط على بأن يشعرنى بتركه لى ... كان وليد معقدا للغاية ككتاب فى الفيزياء النووية، لكنه كان أخى، أخى الأكبر الذى أحبه بكل تأكيد، و هذا يكفينى... أرهقتنى كثيرا علاقتى بوليد لكننى فى نهاية الأمر لن أنفى أن جلساتنا المستمرة قد نجحت فى تلطيف الأجواء ولو بنسبة صغيرة ... صحيح أنه قاطعنى منذ شهور وقرر ترك المنزل بسببى ليعيش بعيدا عنا قريبا من عمله.. لكنه على الأقل وحتى لحظة اتخاذه لقرار المقاطعة و الانعزال كان يقترب منى شيئا فشيئا .

أذكر كلمات جميلة لخصت حالى فى ذلك الوقت كتبها الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور على لسان الحلاج فى

المسرحية الشهيرة "مأساة الحلاج" و التى كنت قد قرأتها مرة وحفظت منها تلك الكلمات بعد أن أذهلتنى روعتها ... والتى تصف درسا تلقاه الحلاج من شيخه أبى العاص عمرو بن أحمد .

" ... ***يقول هو الحب , سر النجاة , تعشق تفز وتفنى بذات حبيبك, تصبح أنت المصلى , وأنت الصلاة وأنت الديانة والرب والمسجد، تعشقت حتى عشقت , تخيلت حتى رأيت ....رأيت حبيبي، وأتحفني بكمال الجمال وجمال الكمال ... فأتحفته بكمال المحبة .. وأفنيت نفسي فيه*** " .

الحب هو السر يا سيدى، وهذا تماما ما كنت أحاول تنفيذه، أحاول أن أُصدّر حبى للعالم من حولى حتى يحبنى العالم من حولى، ولأضرب لك مثالا بنادى الزمالك .. فقد اتخذت قرارا منذ تلك اللحظة بأن أحب الزمالك بشكل حقيقى .. وأعبر له عن حبى بشكل حقيقى .. وأن أظل محبا وعاشقا حتى ينحاز الزمالك – ككيان – إلى و يحبنى

وقياسا على هذا فعلت المثل مع أبى ومع وليد ومع العمل ومع الموسيقى، حتى أننى فعلتها مع قص البرج غير أننى لم أستطع أن أفعلها مع شيماء، أحببت كافة تفاصيل حياتى باستثنائها ... حاولت كثيرا جدا لكننى لم أستطع .. تساوت شيماء عندى بالسوشى مثلا، أكلة مزعجة شكلا، أكلة غريبة عنا تأتينا من أقصى شرق

العالم، السوشى كشيماء كلاهما شىء نىء بارد لا أكرهه لكننى كذلك لا أستطيع أن أحبه . فقط هى تفرض وجودها على حياتى، و أنا كأى شاب آخر لن أرفض قطعا مثل هذا التواجد طالما لا توجد بدائل أخرى .

سمها نذالة ... سمها حيوانية ... سمها ما شئت ... ولكننى أثق بأننى الوحيد الذى أعلم الحقيقة .... ولأننى أعيش لحظة كتابتى لتلك السطور موقفا تطهيريا صعبا فلزاما على أن أكون واضحا معك للغاية و أن أتقاسم معك تلك الحقيقة .. فشيماء فتاة مثل أى فتاة أخرى، تدرس الإسبانية بكلية الآداب جامعة القاهرة، تسكن بالقرب منى فى إحدى فيلات شارع 101 المتفرع من ميدان الحرية بالمعادى، ترى كل من حولها من البنات يعشن علاقات مستقرة إلى حد ما مع شبابهن، و هى تفتقد الحب لأسباب تتعلق بشخصيتها الضعيفة إلى حد الاهتراء، واستعدادها الكامل لفقد كرامتها على أرصفة أى شاب يريد خطف قبلة، يريد اعتصار جزء بارز من جسدها بداعى الحب، شيماء تعتقد أن هذا برهان الحب الذى تقدمه لحبيبها، ونحن جميعا نعلم أن الشاب المصرى رغم هوسه الشديد بجسد المرأة إلا أنه لن يكمل علاقة سوية بمنطق شيماء أبدا ... تقابلنا مصادفة فى الشارع فى صيف عام 2005 على ما أذكر .. عاكستها - أو تحرشت بها باللفظ العصرى - .. فاستجابت، ومن هنا بدأت علاقتنا، خروج مستمر فى العطلات .. تطور لخروج

فى الأيام العادية .. كلام معسول مستمر منى حتى صدقتنى الفتاة، والحقيقة أنها صدقتنى أسرع مما توقعت ... هى بالنسبة لى علاقة عابرة بفتاة أعلم يقينا أننى لن أرتبط بها ارتباطا رسمياً بأى شكل، فأنا لم أحبها منذ البداية – ناهيك عن سهولتها الشديدة - فقط أبهرنى جمالها الأخاذ ، أبهرتنى طريقة ارتدائها لملابسها القصيرة والضيقة، والساخنة أحيانا .. والتى قد تتسبب فى أن يحسدنى أى رجل فى العالم وهو ما أريده كنوع من الزهو و الفخر بأننى شاب محظوظ له فتاة صارخة الجمال تعشقه بجنون .

أبهرتنى طفوليتها فى التعامل مع ما حولها، لكننى كنت أحتاج لإكمال الوجاهة الاجتماعية ... شاب من قاطنى المعادى .. ميسور الحال ... سيارة قديمة لكنها " شيك " .. خاصة بعد إضافة " الجنوط " و " العتب " والذى منه .. أزعم أننى وسيم إلى حد ما .. وأكسبتنى دراستى للفلسفة لسانا حلوا ومنطقا دقيقا فى كلامى إلى حد بعيد ... إلى حد يذيب عقول الفتيات الصغيرات ... فقط تنقصنى فتاة .. وجاءت شيماء فتاة الثانوى فى هذا الوقت لتكمل الجزء الناقص فى " بازل " حياتى .. لتصبح صديقتى .

نعم شيماء فتاة لا تلائم طباعى إطلاقا ... هى فتاة أرق من الطبيعى وأنا كائن صعب المراس، هى مثلى تحب الترانسات لكنها تحبها كـ "موضة" لا أكثر و أنا

أحبها لأنها تحرك بداخلى شيئا ما لا أدرى كنهه، هى ترغب فى تسمية ابنتنا الخيالية نيرمين لكنها رغبة غير حقيقية .. رغبة تنبع من رغبتى فقط لا غير ... و أكرر لك يا سيدى أنها فتاة سهلة وأنا كأى زملكوى آخر أهوى الصعاب ولا أحب الطريق السهل، اختبرت سهولتها مرات ومرات وفشلت هى فى كل الاختبارات .

بعد يومين فقط من علاقتنا جربت أن أمسك يدها الناعمة، وقد كان، حتى أنها بادرت وضغطت على كفى برقة و عذوبة صاحبتها ابتسامة ساحرة تحاول أن تصطنع الخجل، و هو ما يعنى بالنسبة لى أنها رسبت بدرجة ضعيف جدا فى أولى اختباراتى لها، و بعد شهر واحد فقط من علاقتنا ظهرت نتيجة الثانوية العامة .. نجحت هى بمجموع جيد بالنسبة لشعبة الأدبى .. مجموع كان كافيا لأن تكون فى غاية السعادة خاصة وأنها ستلتحق حتما بالكلية التى تريدها .. و احتفالا بهذه المناسبة قررت أن أحتضنها فى سيارتى – كتهنئة شهوانية منى – و قد كان .. حتى أنها لم يبد عليها الإعتراض إطلاقا .. أغلقت وقتها زجاج السيارة - الفاميه - اقتربت منها كثيرا .. احتضنتها بيمناى .. ضممت جسدها الطرى إلى جسدى .. حاولت هى التملص للحظة ثم استسلمت لتوجيهات ذراعى .. وتحركت يسراى لتكمل دائرة الاحتضان .. ارتعش جسمى للحظات ، لا أخفيك سرا إننى ارتعشت خائفا فى البداية، ثم تحول الخوف إلى

قلق، ثم تحولت كل المشاعر إلى هذا الشىء الذى نعرفه جميعا، (الشهوة)، قبلتها بشراهة .. وعرفت من أدائها فى هذه القبلات أننى لم أكن الأول و قررت منذ هذه اللحظة ألا أكون آخر من يأكل من طبق شيماء الشهى ... وبعدها تكررت مثل هذه اللقاءات، و مع دوران عجلة الزمن لتطحن معها الأيام و الأسابيع والشهور فعلت مع جسدها الممتع بحق كل ما يمكن فعله داخل سيارتى ... داخل المصعد .. فى مكان منعزل بالنادى.. فى أى مساحة جغرافية / زمنية تسمح لى بخطف قبلة أو لمس جزء غير مسموح من جسدها أو أى شىء آخر .. كل هذا وسط استسلام كامل منها تحت شعار الحب . حتى جاءت اللحظة الحاسمة، لحظة الامتحان الأخير الذى رسبت فيه كالعادة، يوم أن فازت بمسابقة ما فى الغطس الذى كانت تمارسه فى النادى القريب من منزل كلينا ... وقررت أن أحتفل معها بطريقة خاصة، قررت أن أفاجئها وأدعوها لسهرة بسيطة بعدها بيومين فى منزل هشام صديق عمرى وسط مجموعة من الأصحاب والمقربين – المزعومين بالقطع - وافقت هى بدون مجهود، واحتضنت يدها برفق أثناء دخولنا لمصعد البناية التى يسكنها هشام فى (دجلة)، أحد أكثر مناطق المعادى هدوءا و رقيا، و بنفس الرفق ضغطت زرا يشير إلى الدور التاسع ... و مع أول سنتيمتر يقطعه المصعد لأعلى .. كانت شفتاى تجريان حوارا غاية فى الأهمية مع

شفتيها المبجلتين، و كانت يدى اليسرى تعتصر بعض المناطق البارزة فى جسدها كمقدمة منطقية للغزو الذى كنت أخطط له بعد قليل .

أنا : ألف مبروك يا حبيبتى ... عقبال بطولة الجمهورية " .

شيماء : ميرسى يا حبيبى .

أنا : ميرسى ليكى انتى انك وافقتى تيجى .. كنت خايف تكسفينى وما تجيش .

شيماء : ـ بابتسامة تذيب جبال الجليد فى أيسلندا ـ و أرفض ليه .. حبيبى وعازمنى على سهرة .. حبيبى ومهتم بيا .. تفتكر دى حاجة تترفض .

قرعت الباب .. فتح هشام لأجده قد جهز كل شىء كما طلبت منه تماما : شموع حمراء فى كل مكان... باقة كبيرة من الزهور البنفسجية التى أعلم مدى حبها لها .. إضاءة خافتة تحيط بنا لتضفى انطباعا رومانسيا مثيرا ... مجموعة من زجاجات الـ ID بنكهات مختلفة تتوارى بجوار المنضدة القصيرة التى تشبه الطبلية المودرن وتتراص عليها أنواع مختلفة من الطعام الصينى – المقزز و غير الشهى – من وجهة نظرى الخاصة، غير أن شيماء تحبه بجنون .. ويتوسط المنضدة صندوق خشبى أنيق محفور عليه اسمها بشكل جذاب ... سلمنا

على هشام وسط انبهار كامل منها ... لقد خططت ورسمت السيناريو ونفذه هشام بدقة .

الأب و الأم فى (مارينا) .. و هو يستعد للحاق بهما .. شقة خالية لنا وحدنا – جسد شيماء وأنا – لمدة قد تصل إلى الشهر ..مفتاح الشقة معى ...حارس الأمن فى البناية صديق – عزيز – جدا يمكنه أن يتحول لأعمى مقابل علبة سجائر ميريت أصفر وعشرين جنيها .. فليكن .

فتحت لها الصندوق الخشبى متوسط الحجم ... ليزيد من إنبهارها .. جلسنا على الأرض، احتضنتها فى اللحظة التى تسلل فيها هشام خارجا من المنزل.. انقسمت ساعة الحائط فى هذه اللحظة لنصفين معلنة عن السادسة مساء ... وبعد ثوان قليلة كانت شيماء تخرج أول قطعة من صندوقها والتى كانت عبارة عن سلسلة رقيقة من الذهب الأبيض تحمل الحرف الأول من اسمها واسمى ... ثم علبة كاملة من الشيكولاتة الفاخرة التى تحبها .. ثم مايوه بكينى وردى اللون شفاف فى معظمه هو أقرب للملابس الداخلية قلت لها إنه مخصص لليلتنا الأولى بعد الزواج ... ثم زجاجة عطر (لاكوست بيبي دول من ايف سان لوران) طلبت منها تعتيقها لنفس الليلة والتى وعدتها – كاذبا طبعا – أنها لن تبعد كثيرا ... وانتهى الصندوق بدعابة خفيفة وهى علم صغير للزمالك و الذى طلبت منها أن تحافظ عليه كأول قطعة أثاث فى بيتنا المزعوم ..... أكلنا حتى امتلأنا ... شربت هى زجاجتين ID بنكهة

البطيخ، وشربت أنا ضعف الكمية، وعندما اقتربت الساعة من السابعة كانت تجلس بين أحضانى مرتدية البكينى الوردى الساخن لتعلن عن بداية ليلتنا الأولى و التى لن أنسى مذاقها أبدا .. فصحيح أن شيماء لم تكن أولى فتياتى فى الحياة .. لكنها كانت اولاهن فى الفراش .. و كانت آخرهن ... حملتها برفق و هدوء مقبلا إياها حتى أرحت جسدها الأبيض المثير على سرير هشام الكبير فى غرفته .. غرقنا فى نوبة طويلة من القبلات، كنت حريصا على ألا أتعجل و كانت هى تفتقد للحرص، و بالطبع لم تقاومنى ... لم تقو على ذلك خاصة بعد التأثير السحرى لمحتويات الصندوق ولزجاجتى الـ ID ...خلعت عنها ما ترتديه من قماش، قذفته بلا عناية لتلتهم عيناى جسدها ... قلبتها بين يدى حتى رقدت على بطنها، قبلتها بجنون .. قبلت كل ملليمتر فى جسدها بلا مبالغة .. حتى التقينا ... وقت طويل مر على كثوان بين تأوهها و آهاتى ... صراخها و لمساتى .. استمتاعها و رغباتى .. حتى انتهينا ... وقتها كانت الساعة تجرى بسرعة نحو الثامنة ... أمامى ساعتان لا أكثر حتى يحين موعد عودتها للمنزل .. إذن فلنفعلها ثانية .. فلنكررها للمرة الثالثة .

جسد أبيض ممتلئ فى مناطق الإثارة .. متناسق فى مجمله ... تحيطه ملامح تصرخ بجمال أخاذ .. جسد سريع الإيقاع .. جسد يغريك بالمغامرة من أجله و أنا عاشق لها .. جسد يطلبك ويشتهيك كما تشتهيه .. جسد

يرغب بك كما ترغب به.. جسد يحتويك وتغرق فى بحره، تنسى معه الوقت و المسئوليات ..... وتستريح .

وتكررت لقاءاتنا فى منزل هشام، وعندما قلقنا من احتمال حملها ذهبت هى لطبيب نساء شهير بالدقى – حرصا منا على أن نتوارى بعيدا عن أعين أهل المعادى التى ألفتنا و قد تفضحنا - أعلن الطبيب أن لديها اضطرابا هرمونيا ما، و انها لن تستطيع أن تكون أما قبل أن تجرى عملية بسيطة فى الرحم .. و كان هذا كالضوء الأخضر الذى فتح طريقا ممهدا لنا كى نفعل ما نريد دون ضوابط، دون رادع، وفى انتظار الزواج والعملية الجراحية البسيطة حتى نأتى بنيرمين ابنتنا المزعومة .

وهكذا كانت أيامى مع شيماء، سهرات و جولات فى الشوارع، المزيد و المزيد من الكافيهات، و الكثير جدا من الجنس، أتركها فقط مضطرا للذهاب الى عملى فى كل صباح، و أتركها بنفس يملؤها الرضا لأذهب إلى النادى أو التدريب أو مباراة من المباريات ... لكننى وأصدقك القول بدأت أشعر بملل شديد منها بعد فترة، ملل نابع فى الأساس من كونها راكدة ثابتة، فأفكارها لم تتغير، ظلت هى كما هى، تريدنى دائما إلى جوارها لنخرج ونسعد – من وجهة نظرها طبعا – بأيامنا و حبنا، و تحلم آلاف المرات فى اليوم الواحد بتفاصيل الفرح و الزواج و شهر العسل و نيرمين و غيرها من الأشياء التى لا تهمنى إطلاقا، وأضطر أنا لمجاراتها خوفا من اختفائها وبالتالى

اختفاء الجنس من حياتى، نعم .. الجنس يا سيدى العزيز، فصحيح أن شيماء بدأت معى كفتاة تكمل الجزء الناقص فى حياتى، لكننى لا أنكر أن سطوة الجنس لا مثيل لها، خاصة مع فتاة فى جمال شيماء و سهولتها، وصحيح أننى أرغب فى الزواج، نعم أريد حفل زفاف فخماً بأحد الفنادق الرئيسية فى القاهرة، نعم أريد قضاء شهر العسل فى مكان متميز خارج الحدود، نعم أريد نيرمين، لكننى لا أرغب بشيماء كطرف فى أى من هذه الأحلام .

راتبى فى فودافون يمكنك اعتباره راتبا متميزا، راتبا قد يمكننى من تحقيق أحلامى .. أحصل عليه شهريا مع تأمين صحى محترم وجزء من أرباح الشركة يتم تقسيمه على الموظفين بشكل نصف سنوى، وعلاوات ومنح فى بعض الأحيان تكفى أى شاب مثلى ليعيش هانئا سعيدا رائق البال، لكننى لم أكن هانئا ولا سعيدا ولا رائق البال، رغم قدرتى على تحقيق ما أحلم به، وشراء كل ما أريد، و ذلك لأسباب تتعلق بضميرى الذى يستقبلنى كل صباح بمعركة يذكرنى فيها بأننى (خسيس) أفعل ما يحلو لى بجسد الفتاة، ويذكرنى بأننى أفعل ما يحلو لى بحياتى ككل، أعيشها طولا و عرضا غير عابئ بشىء أو بأحد، أقول لضميرى إننى لا أشرب مخدرات، أقول له إننى لا أسرق، أقول له إننى لست نصابا، يرد ساخرا هازئا، فممارسة الجنس مع شيماء أمر لا يقبله ضميرى مهما كانت المتعة الناتجة عنه، تتكرر المعركة معه يوميا،

وأقرر يوميا أن أتناساه وأؤجل المعركة لوقت لاحق، وغالبا ما يأتى هذا الوقت سريعا فى صباح اليوم التالى لتتكرر المعركة بكل فصولها و بحذافيرها .

وأكاد أجزم أن الجانب المتعلق بشيماء فى حياتى هو ما يؤلم ضميرى بشدة و بشكل مستمر وذلك لأسباب أعتبرها شخصيا وجيهة للغاية، فكونى لا أتعاطى المخدرات و لا أسرق و لا أنصب على شخص، لا يعنى بالضرورة أننى شخص صالح سأدخل الجنة من أوسع أبوابها .. و كما أعلم وتعلم ويوقن الجميع، فنحن نعيش فى مجتمع رخو كالإسفنجة المبتلة ورغم سفاهة مجتمعنا فى الأصل إلا أن أفراده لا يعطون لزملاءهم فى المجتمع أية مبررات للجريمة تحت العديد من المظلات الدينية والمجتمعية الهزلية والهزيلة فى ذات الوقت ، وأنا كشخص راشد يستظل مثل الجميع بهذا المجتمع أجدنى مدفوعا – نظرا لحياتى هذا المجتمع - لرفض الجريمة بكافة أشكالها من الخارج، أما كشاب مصرى طبيعى يعرف جيدا (البير وغطاه) فقد أختلق المبررات تلو الأخرى لكل من يرتكب جرما أو خطيئة لأننى و بمنتهى البساطة و الوضوح أزاملهم على دكة الاحتياط فى هذا البلد وأعلم الحال وما يحويه..... فقد أجد مبررا للسارق، للنصاب، للبلطجى، حتى للقاتل تحت وطأة الظروف و الأهوال، أما شيماء (ممارسة الرذيلة إذا شئت الدقة) فلا مبرر لها على الإطلاق ... حاولت كثيرا أن أجد لنفسى

مبررا للزنى لكننى فشلت، حاولت منع نفسى من الرذيلة الشيمائية لكننى عجزت .... طلبت المساعدة من بعض جيرانى وزملائى فى العمل، فلم أجد سوى عبارات الحسد من باب أننى أضاجع فاتنة فاتنات المعادى، طلبت الرفقة من الأولتراس فلم أجد سوى الصخب والضجيج والحماس الذى يلهب مشاعرى و يجبرنى على قضاء استراحة محارب بين أحضانها، طلبت السلوى من الروايات و القصائد و نظريات الفلسفة وبحور علم الاجتماع التى تفوق بحور الشعر العربى تشعبا، لكنها جعلت منى شخصا حساسا رقيقا يستشعر القبح فى كل ما حوله ومن حوله ويحتاج إلى جرعة جمال ... وبالله عليك أن تخبرنى وتشير إلى من هى أجمل من تلك الشيماء اللعوب .

وعلى الجانب الآخر فأنا أستوعب تماما جميع النظريات النفسية التى تعطى مبررات للبشر لكى يخطئوا، من باب الاحتياجات النفسية والجسدية، أستوعب أيضا النظريات الاجتماعية التى قد تعطى للشاب بعض المبررات لمثل هذه الأفعال، لكننى وبحسب تربيتى لا ولن أستسيغها على الإطلاق، فالقاعدة الصارمة التى نضعها لأنفسنا كمصريين هى إجابة السؤال التالى :

س : هل يقبل دينك هذا الفعل ؟

جـ : الاجابة بالقطع لا .

إذن فلا يوجد مبرر اجتماعى يسمح لى بممارسة الرذيلة كما يسمح لبعض المجرمين بخلق و صناعة و تطوير شتى أنواع الجريمة، ولا يوجد غطاء دينى مناسب قد يكفل لى الدفاع عن نفسى وعن (هرموناتى) ولا توجد بعد وسيلة لكى أمنع نفسى وأكبح شهواتى و لا يوجد مكان مريح فى العالم بعد (الكورفا سود) سوى صدرها البارز ولا طريقة من طرق الصد و (الغتاتة) تجدى معها نفعا، ولا أم تعوضنى حنانها، ولا أب متواجد لينصح، ولا أخ يهتم بالسؤال، ولا المعادى تمنعنى من القبلات الحارة فى ميدان مصطفى كامل، ولا الزمالك يكسب البطولات فيمنحنى بعضا من الثقة بالذات التى أشعر بها بعد اعتلاء جسدها المثير، إننى أحيا مذاقا مختلفا من المآسى يا سيدى، إننى فى قلب بيت جحا ولا أستطيع الخروج منه .

إنها السابعة والنصف وخمس دقائق ولم يعرنى أحدا اهتمامه سوى القهوجى والذى يقف أمامى منحنيا ليضع الحجر الثالث عشر فوق شيشتى ... بدأ صدرى يضيق من كثرة الدخان الردىء .. بدأت أسمع لحنا مزعجا لأنفاسى العادية و هى تدخل و تخرج من رئتى ... بدأت أعانى من الصداع ... زادت حدة توترى للضعف أو أكثر قليلا .. ولم يأت ناصر أو المشاكس بعد، المشكلة الأكبر هى أن ناصر أفقر كثيرا من أن يملك هاتفاً محمولاً لذا فالوصول إليه أصعب من الوصول لمناجم الماس فى بولاق الدكرور لو وجدت، والأجمل أننى لا أعرف

المشاكس بعد ولا أعرف له رقم هاتف، بمعنى أوضح فأنا مضطر للجلوس على هذا الكرسى حارقا المزيد من المعسل، شاربا المزيد من المياه الغازية، ضاغطا بقوة أكبر على أعصابى، فى انتظار الفرج، صحيح أننى لم أهتم بالوقت فى حياتى لمثل هذه الدرجة إلا فى حالات قليلة ... عندما أنتظر صافرة الحكم مثلا فى حالة فوز الزمالك بمباراة مهمة، و لكن من يجرؤ على القول اننى لست فى مباراة مهمة الآن .. إننى الآن فى انتظار صافرة البداية لمباراة قد تكون الأهم فى حياتى .. مباراة تاريخية سأتذكرها طويلا .. مباراة ستبدأ بعد قليل، فقط لو أتى هذا الشىء المدعو ناصر . وفى الدقائق الطويلة التى انتظرت فيها ناصر تذكرت عدد المرات التى تأخر فيها علىَّ، ووجدتها كثيرة رغم حداثة العلاقة بيننا حتى هذا اليوم، لأتأكد أنه سيكوباتى آخر يهوى التأخر على الناس فقط ليشعر بأهميته .. أسمع كثيراً عن أشخاص يتصرفون بإيجابية شديدة فى مثل تلك المواقف، ويتركون المكان فورا بعد تأخر الطرف الآخر عليهم لربع الساعة.. لكننى لست إيجابيا لهذه الدرجة فيما يخص الزمالك.. بل يمكنك القول اننى كنت أكثر مخلوقات الله سلبية مع هذا الكيان تحديدا .

وأخيرا وبعد نصف ساعة أخرى ... وبعد زجاجة مياه غازية جديدة .. وحجرين آخرين، ومكالمة جديدة من شيماء، ظهر ناصر متأبطا ذراع المشاكس .. جالا

ببصريهما فى أرجاء المكان ... ورغم أنى رأيتهما يدخلان إلى المقهى إلا أننى آثرت أن أتركهما يبحثان عنى ولو لثوان أعوض فيها هذا الفاصل السخيف من حرق الأعصاب الذى فعلاه بى... وما إن وجدانى حتى بدأ ناصر فى تمثيل مسرحية سخيفة تدور أحداثها فى وسائل المواصلات المزدحمة و التى كانت سببا رئيسيا فى تأخر المشاكس عليه، وبالتالى تأخر ناصر على ... قطعا لم أصدق حرفا لكننى كنت فى انتظار الأهم ...استمرت الجلسة لدقائق معدودة .. سألت المشاكس عن الاجتماع فقال إنه فاتنا بكل تأكيد، زاد معدل ضربات قلبى و توترت جدا، كدت أقذفهما بما تطوله يداى من أشياء لولا أننى تماسكت فى اللحظة الأخيرة ... ها قد أضاعا على هذان الوغدان أول إجتماع أولتراس فى حياتى ... ثم تلا علىَّ المشاكس المبادئ الأساسية للمجموعة :

1 – الأولتراس لا يتوقف عن الغناء أو التشجيع خلال المباراة، ومهما كانت النتيجة .

2 – الأولتراس لا يجلس أثناء المباراة .

3 – الأولتراس يحضر أكبر عدد ممكن من المباريات (ذهابا وإيابا)، بغض النظر عن التكاليف أو المسافة .

4 – الأولتراس يظل ولاءِه قائما للمجموعة المكونة (أى أنه لا ينضم لأى مجموعة تشجيع أخرى) .

5 - و الأهم من ذلك أن جميع أفراد الأولتراس ... إخـوة فـي الـدم .

كنت على استعداد تام لاستيعاب هذه المبادئ وتنفيذها بدون مناقشة .... صحيح أننى زملكوى منذ زمن بعيد، صحيح أننى أمارس زملكويتى علنا أمام الجميع، لكننى وبانضمامى إلى الأولتراس أنفذ وصية أمى وأعبر للزمالك عن حبى، تركت الجلسة مسرورا سعيدا، وتمنيت أن تجرى الدقائق والساعات ليبدأ الدورى، وأبدأ فى متابعة المباريات من (الكورفا سود) كواحد من الأولتراس، ومع صافرة الحكم التى أعلنت بداية مباراة افتتاح الدورى فى هذا العام، بدات فى ممارسة حياتى كفرد أولترا ... منفذا للتعليمات ... مطيعا للأوامر .. مؤديا دورى على أكمل وجه كواحد من مجموعة تمثل الليبرو فى فريقنا العظيم ... تدافع عنه بحماس .. تواصل عطاءها مهما كلفها الأمر ... تشاركه الأفراح، تسانده فى الأتراح .. تكتب المقالات، تزأر فى مدرجات الملاعب، تزور النادى لتعبر عن وجهة نظرها، تحضر مباريات اللعبات الأخرى لتساند الكيان، تملأ الدنيا صخبا وضجيجا، وتحارب من أجل توصيل الفكرة للجميع، هكذا ما يجب أن يكون عليه فرد الأولترا ... المحب الزملكوى العاشق ... هذا ما يجب أن أكون... وهذا ما حققته .

ثالث ربع ساعة

« راحة سلبية »

الإثنين 13 أغسطس 2007 ... مرت يومها ثلاثة شهور تقريبا على وفاة أمى .. غاب الجرح الغائر و إن لم يزل أثره بعد، ولأول مرة بعد حادث الوفاة، أستيقظ من نومى شاعرا بالحماس و الفخر، كان يوم افتتاح الدورى العام، وكنت أشعر بالحماس لأننى سأجلس اليوم مع الأولتراس فى المدرجات بشكل رسمى، شاعرا بالفخر لأننى سأفعلها لأول مرة، ولأننى أيضا أنفذ حرفيا وصية والدتى رحمها الله، أعتقد أنها اليوم سترقد هانئة فى قبرها بعد أن استمع آخر عنقودها لوصيتها، بعد قراره بتنفيذ وصيتها بحب العالم... العالم الذى يبدأ وينتهى عند الزمالك بالقطع .. قمت من سريرى فى العاشرة والنصف صباحا لأستحم بشكل دقيق للغاية، حلقت ذقنى، أفرغت على جسدى نصف عبوة من الـ BODY SPRAY الذى أهدتنى إياه شيماء ..هاتفت هشام و طلبت منه المجىء إلى منزلى بعد ساعة حيث إن أبى كان فى رحلة عمل معتادة فى الصحراء الغربية ليتابع بئراً بترولياً ما .. أما وليد فكان صعبا للغاية أن يتواجد فى مثل هذه الساعة المبكرة من اليوم بسبب ظروف عمله، فكان الظرف مناسبا جدا ليزورنى هشام و نجهز سويا لرحلتى إلى الإستاد – رغم أن هشام أهلاوى متعصب - ثم هاتفت شيماء لأوقظها من النوم طالبا منها أن تلاقينى فى إحدى غرف الشات، كانت قد مرت يومها فترة طويلة جدا لم أعبث بجسدها المثير، و شعرت يومها بالرغبة تشتعل فى

جسدى ... كتبت لها على أزرار الكمبيوتر أن تفتح الكاميرا ففعلت، استمر حديثنا على الإنترنت لنصف ساعة أو ما يزيد قامت فيها شيماء باستعراض جزء كبير جدا من جسدها عاريا أمامى لتشعل فى الرغبة أكثر فأكثر و لأطلب منها أن تزورنى فى المنزل فى اليوم التالى لألقى بإرهاقى و تعبى فى المباراة بين أحضانها، كانت تلك أول مرة أطلب منها زيارتى فى منزلى، فرغم أننا نتواعد منذ ما يقرب من العامين إلا أننا كنا غالبا ما نلتقى فى منزل هشام أو منزل إحدى صديقاتها، وعدتنى أن تحاول ووعدتها بليلة دافئة .

جاء هشام ومعه ما طلبت .... كان يحمل بين يديه هذا الدف الصغير و الذى سأستخدمه بكفاءة فى تشجيع الزمالك بعد ساعات قليلة، سأرقص و أغنى معه، سأداعبه، سيلين بين يدى ويصدر دويه و يزأر معى فى حب النادى ... كان هذا الدف يشجع الأحمر فى الموسم الماضى لكنه و منذ اللحظة سيقوم بدور أكبر و أرقى ... سيشجع الزمالك بعد انتقاله لملكيتى بعد أن إشتريته من هشام صديقى الذى أحبه بالفعل لكننى لا أحتمل أهلويته العفنة .... جاء هشام أيضا بعلب عصير وضعتها فى الثلاجة بعناية، وعدد من قطع الشيكولاتة لكى تزيد من طاقتى، ثم جلس معى نتجاذب أطراف الحديث، حدثته كثيراً عن اليوم الحماسى الملحمى الذى ينتظرنى، وكالعادة سخر منى هشام كما يفعل الجميع، فلم يكن هناك

من يستطيع تقدير حبى لفريقى، لم يكن هناك من يتفهم أننى فرد أولترا منذ الميلاد وأن ما سيحدث اليوم هو مجرد إشهار وتوثيق لهويتى الحقيقية .

شاهدنا سويا فيلم (300) هذا الفيلم الحماسى الملحمى الذى قام هشام بإنزاله لتوه من على الإنترنت و الذى كان ملائما للغاية للأحداث التى أتمناها فى يومى، نجح الفيلم فى إشعال حماستى وإلهاب مشاعرى خاصة عندما رأيت 300 من المحاربين الأقوياء يواجهون 2 مليون رجل .. و هى معلومة تاريخية عرفت فيما بعد أنها خاطئة حيث إن جيش الفرس الذى واجه الثلاثمائة إسبرطى لم يكن قوامه يزيد عن 120 ألف جندى !!! ... ولا أعرف لماذا ربطت بين احداث هذا الفيلم وبين ما يعيشه الزمالك .. فالنادى ورغم قلة موارده الواضحة وضعفه الواضح للعيان فى بعض الأحيان، وهوانه على بعض أبنائه، إلا أنه مازال قويا و قادرا على العطاء وخوض الحروب للدفاع عن شرفه وكرامته ... ويسعى مع عدد قليل من محبيه إلى استعادة الهيبة من جديد .

حتى دنت عقارب الساعة من الثالثة فقمت كالملسوع لأرتدى تيشرت الزمالك على جسدى، مع بنطلون جينز أخصصه لبهدلة الاستادات غير أننى كنت قد غسلته بعناية يومها ... وضعت عراقة بيضاء لها خطان أحمران فى يدى اليسرى ... ثم علم الزمالك و الذى يبلغ حجمه حوالى مترا و نصف المتر المربع و الذى دفعت يوما 20

جنيها لأحد الخطاطين كى يكتب بين خطيه الأحمرين DARSH 14 ... كعلامة على اسمى مع رقمى المفضل كما ذكرت لك من قبل، أيضا ارتديت حذاءا رياضيا خفيفا أسود اللون من ماركة معتبرة .... حرصت أشد الحرص على أن يكون نظيفا .. حرصت أن أبدو براقا بشكل عام ... استغرقت تماما لثوان قليلة أثناء تأملى لعلم الزمالك متذكرا لحظاتى مع الكيان الأعظم فى حياتى .. متذكرا النجاحات والإخفاقات .. متذكرا العرق و الدموع و الصراخ والدماء والأتربة ... متذكرا سيرة حياتى البيضاء ذات الخطين الأحمرين .. شريط سينمائى لامع لم أندم عليه يوما ... لا أرغب فى تحقيق أى مجد شخصى من خلاله .. حجر فرعونى صلب سأخربش عليه اليوم بداية فصل جديد عند جلوسى فى (الكورفا سود) لأول مرة كفرد أولترا .. كترس صغير فى ماكينة العاشقين العملاقة التى تدور وتدور لتلهب المزيد من الأعصاب .. لتسعد المزيد من البشر ... ثم غرقت تماما حين تأملت صورتى مع أمى و التى تقف شامخة على " الكومودينو " المجاور لسريرى .. صورة فوتوغرافية بدأت فى التحول للون الأصفر تحملنى فيها أمى مبتسمة راضية أمام بيت الفيل بحديقة الحيوانات ... تأملت وجهها الصبوح .. ابتسامتها ... تفاصيل يدها التى تحتضننى فى حنان واضح .. تأملت نظرتى نحو اللاشىء الذى ننظر له جميعا عند خضوعنا لسحر الفوتوغرافيا .. تمتمت

بالفاتحة فى سرى وغرقت تماما، حتى انتزعنى هشام من سباتى بهتافه و تذكيره إياى بموعد المباراة .. جرينا سويا على أمتار الشقة بين غرفتى و المطبخ لأجلب الشيكولاتة والعصير، ثم أنزل سلالم منزلى جاريا وأتأمل شكلى فى المرآة الكبيرة التى تحتل جزءا لا بأس به من مدخل العمارة لأناقش معها صورتى تلك و هل تصلح لفرد أولترا أم لا ؟ ... ركبت السيارة التى قادها هشام و مشينا سويا فى شوارع المعادى حتى وصلنا إلى قلب ميدان العرب الشهير و الذى يطلق عليه سائقو الميكروباص " العرب تحت " وذلك نظرا لطبيعة المكان الذى يميل لأسفل بدءا من مزلقان القطار الشهير والذى لم أر أى قطار يسير عليه أبدا، وحتى وصولنا لمقهى كبير يحتل ناصية كبيرة ... هذا المقهى الذى كان المحطة التى سنلتقط منها ناصر، الذى ركب مسرعا معنفا إياى بشدة لتأخرى ... اعتذرت له ... عرفته على هشام وأقنعته بأن هشام يوازى بطلا من أبطال رالى الفراعنة وأننا سنحتضن إستاد القاهرة بعد أقل من 20 دقيقة، مال ناصر برأسه للأمام ليقرأ الرموز التى تظهرها ساعة السيارة ليجدها تقول " إنها الثالثة و الربع ياسادة ... لقد تأخرتم كثيرا " .

أرجع ناصر رأسه للخلف .. ثم مسح حبيبات عرق قليلة ظهرت على جبينه بتيشرت الزمالك الذى يرتديه و هو يخرج زفيرا حارا و طويلا :

" أوووووف .... أوووف عليك يا مصطفى وعلى مواعيدك "

تأملته بهذه النظرة المتعالية و التى يسمونها " من فوق لتحت " ماطا شفتى فى محاولة لتذكيره بأننى لست الوحيد الذى يتأخر ... فهم هو الرسالة بدون أن أتكلم .. فآثر السكوت لباقى الطريق الذى طال كثيرا رغم أن سيارتنا الحبيبة يقودها " هشام شوماخر "، لكنه يوم الإثنين يا سادة ودعنى أذكركم بالحكمة الخالدة التى نسمعها كثيرا من سائقى التاكسى المتجولين فى شوارع العاصمة .. (الأكل بالدين ولا زحمة يوم الاتنين)، أول أيام الأسبوع رسميا على صعيد العمل، فهو يأتى بعد ثلاثة أيام قد تتخذ منها بعض فئات الشعب العاملة راحة رسمية هى الجمعة والسبت والأحد، قابلنا زحام خانق بالمعادى حتى خرجنا على الكورنيش الذى لم يكن أفضل حالا .. فقررنا الدوران والرجوع فى اتجاه حلوان على الكورنيش لكيلومترين أو ثلاثة وهى المسافة التى تفصل بيننا وبين كوبرى طرة الذى يفصل ما بين طريقى الكورنيش والأوتوستراد الذى سيكون أكثر رأفة بنا بكل تأكيد، ومع كل متر تقطعه عجلات السيارة على الأسفلت المتعرج الملىء بالحفر والمطبات، نقترب أكثر من الحلم .. من الهدف ... من بيت القصيد .. من إستاد القاهرة الدولى، وجريت بعينى على المعالم الرئيسية القليلة على

الأوتوستراد، مساكن نيركو الجديدة على اليسار حيث تقبع شقتان فخمتان إستطاع أبى أن يشتريهما لنا أنا ووليد كمسكن زوجية لكل منا، وفى قلب هذه المساكن الفخمة يقع (كافيه) متميز جلست فيه مرارا قبل أن يخطفنى مقهى ميت عقبة، مساكن ضباط الشرطة التى شهدت أراضيها الرملية الواسعة عددا غير قليل من معاركى مع كل من تسمح له رجولته بأن يتحدانى سواء على المستوى الزملكوى أو المستوى الشخصى لأى سبب، كانت تلك البقعة من المعادى مكانا مناسبا للغاية لفعل ما نشاء – نحن معشر المتعاركين – فى بعضنا البعض، لأنه بعيد كل البعد عن أعين الشرطة والمتطفلين و يمتاز بالهدوء و قلة التعداد السكانى – لاحظ أننا نتكلم عن عام 2007 وما قبلها - ويمكننا بالقطع اصطحاب ما نقدر عليه من أسلحة وعصى وماشابه من أدوات ضرورية فى أى معـركة، بعد قليل تظهر واحـدة من أهـم المناطق المحـورية بالمعادى (صقر قريش)، والتى تختلف يمناها عن يسراها كثيرا، ففـى أحداهما صـخب مــوقف أوتوبيسات النقل العـام ومـوقف الميكروباصات المتجهة إلى المعادى أو إلى منطقة فايدة كامل المتاخمة لحى البساتين، مصحوبا بصخب آخر تتسبب فيه قلة من المحلات التجارية المتنوعة و بعض باعة الخضروات والفواكه وما إلى ذلك، وعلى الجانب الآخر تقف شامخة

عمارات صقر قريش التى لازالت تحت الإنشاء رغم الشروع فى بنائها منذ الثمانينيات، وهو ما سمح لى بالطبع باصطحاب شيماء إلى هناك لنجرب معا شعور الرجل البدائى و زوجته حين كانا يختبران قدرات بعضهما البعض الجنسية فى العراء.. فوق الرمال .. وتحت السماء . ... ويستمر الطريق فى استعراض ملامحه، كوبرى الأباجية، كوبرى التونسى وسوق الجمعة ..السوق الذى يبيع كل شىء ماعدا مستلزمات السفر للفضاء والجوارى، مقابر الغفير تقف متربصة بنا جميعا على يمين الطريق، قلعة صلاح الدين الأيوبى على اليسار، مدخل المقطم على اليمين، منشية ناصر (الحى الذى يحتضن العديد من أثرياء الوطن رغم مظهره الذى يوحى بنقيض ذلك)، منطقة المقاولون العرب و ملعبها الشهير على يميننا ... إذن ما هى إلا عشرات الأمتار حتى يتوقف هشام على جانب الطريق بعد المنصة بخطوات ليقوم بتفريغ حمولة السيارة منى أنا و ناصر لنعبر الطريق و نقابل شباب الأولتراس أمام مدرسة الموهوبين رياضيا، سيجلس هشام مع زميل دراسة له يسكن بشارع الطيران القريب من الإستاد مع وعد منه بالعودة والتقاطنا مرة أخرى بعد المباراة بنصف ساعة أو يزيد قليلا.

كنت فى واقع الأمر أفكر فى المباراة بعمق كعادتى قبل أى مباراة يخوضها الزمالك، وعلمت من مواقع الانترنت بالتشكيل المتوقع لها، جزمت أننا فى حاجة لمدافعين أشداء، جزمت أن خط وسط الملعب يحتاج إلى ترميم، لكننى و رغم كل شىء كنت متفائلا للغاية، و أذكر جيدا أن أفكارى دارت دورة كاملة لتستقر عن إنضمامى للأولتراس ... فى هذا اليوم كان القوام الفعلى لمجموعة (أولتراس وايت نايتس) لا يزيد بأى حال من الأحوال عن بضعة مئات من الأشخاص، هذا غير أن (عقلية فرد الأولترا) لم تكن قد تمكنت بعد من معظمنا، وصحيح أن عددنا يزيد فى مباراة تلو الأخرى، صحيح أن بعد دخلتنا التى ننفذها بدقة متناهية نستطيع جذب انتباه العديد من البشر ... صحيح أننا ككيان نكبر يوما عن يوم لكننى كنت أفكر أثناء عبورى للطريق فى الكيفية التى أجذب بها أكبر عدد ممكن من البشر !! ..كيف أقنعهم بملء الفراغات فى كيان الأولتراس.. كيف ؟! .

أخرجنى ناصر من أفكارى حين بدأ يعرفنى على بعض أصدقائه من المجموعة .. قابلونى بفرحة، كنت فخورا، سعيدا، متحمسا، لذا فقد طلبت بحماس أن يكون لى دور حقيقى فى يومى الأول... فكان أن قابلت (الكابُّو) محمود مشاغب، و الكابُّو هو لقب يطلق على الشخص الذى يقود هتافات المجموعة فى المدرجات وهو بالمناسبة ليس مدير أو قائد فلا يوجد قائد للمجموعة،

إنما هو فقط يتميز بشخصية قوية وصوت عال يستطيع به لفت أنظار الجميع فى الكورفا سود وإشعال حماستهم عندما يقف بين الجماهير، هاتفا بالشعارات والأغانى المختلفة، قابلنى (الكابُّو) بحماس وترحاب شديدين، وطلب منى أن أشارك فيما يشبه (الكورتيج) ، وكلمة "كورتيج" لها معان عديدة في اللغة بشكل عام ولكنها تعني في قاموس مجموعات الاولترا...الاستعراض الذى تقوم به أى مجموعة أولترا فى العالم حيث يمشون جميعا منشدين الأناشيد و الأغانى، مشعلين الشماريخ، ملوحين بالأعلام، خلف البانر (الشعار) الخاص بالمجموعة و البانر هو لوحة مستطيلة من القماش تحمل شعار المجموعة، و هذا الكورتيج يعد من التفاصيل الرئيسية فى حياة الأولترا و يجب الالتزام به خاصة فى مباريات الديربى أو مباريات الترحال التى تسافر فيها المجموعة خارج مدينتهم، وذلك لإثبات قوة المجموعة فى أى مكان ... وأثناء الكورتيج نغنى كثيرا لفريقنا، ندافع عن شرفه أمام الجميع، نؤكد جدارته و قوته لجمهور الفريق المنافس .. ورغم أن ما حدث يوم تلك المباراة لم يكن (كورتيج) بالمعنى الحرفى للكلمة، إلا إننى كنت فخوراً منتشياً سعيداً..... وفى الواقع أن هناك العديد من الإعلاميين الذين تناولوا موضوع (الكورتيج) هذا ووصفوه بأنه أعمال شغب، و أنه يدعو لنشر ثقافة العنف بين مشجعى الفرق المختلفة، ولكننى لا أراه كذلك

على الإطلاق، أو بالأحرى، إن فكر الأولترا لا يعتبره كذلك، فالكورتيج ليس معركة بين طرفين ومن المفترض ألا يتحول إلى معركة على الإطلاق، فهو فقط كموكب ضخم لاستعراض القوة والتفاخر بالمجموعة، و رغم أن الكورتيج يُغضب الأمن منا أحيانا، إلا أنه مهم للغاية لدينا ولا أعتقد أن الأولتراس سيكفون عن الإعتقاد به أو التخلى عنه فى أى وقت ... والحقيقة أننى وقتها – وقت تلك المباراة الافتتاحية للدورى عام 2007 - كنت فخوراً و سعيداً لأننى سأتشرف بلمس البانر فى أول أيامى كفرد أولترا .... وهو شرف لو تعلمون عظيم .

كانت حرارة الجو تلهب الحماس أكثر و أكثر، الرغبة فى استباق الأحداث تلتهمنا التهاما، نعرف أن فريقنا استعد للموسم الجديد بمعسكر ناجح، كنا متفائلين تماما رغم أننا سنواجه المدرسة المتميزة فى فنون كرة القدم (مدرسة الإسماعيلى)، و صحيح أن (الحكومة) غيرت مكاننا فى هذا اليوم من الكورفا سود إلى الكورفا نورد و هى مدرجات الدرجة الثالثة يسار المقصورة الخاصة بجماهير الأهلى و هو ما يعنى أن علينا تغيير خريطة الدخلة تماما لاختلاف المقاييس بين المدرجين، أضف على ذلك أنها – أى الحكومة - كادت تمنع الدخلات أيضا، إلا أن بعض قيادات المجموعة حاولوا أن يقنعوا بعض قيادات الأمن المتواجدة فى الإستاد بدخول الجلاد والشرائط التى سنستخدمها فى الدخلة، ووافقت تلك

القيادات بعد جهد جهيد منا، ورغم الوقت الذى ضاع بسبب النقاشات الأمنية و بسبب تغيير المقاسات فى المدرجات إلا أننا كنا عاقدين العزم على تنفيذ دخلتنا، والتشجيع طوال 90 دقيقة بلا توقف لمساعدة فريقنا على حصد أول ثلاث نقاط له فى الموسم وتوجيه إنذار شديد اللهجة للجميع بلا استثناء و على رأسهم بالقطع النادى الأهلى .

أما عن حالتى فلك أن تتخيل يا سيدى، فأنا أثبت أخيرا حبى للزمالك، أثبت ولائى للمجموعة، أنفذ وصية والدتى حرفيا مع كل خطوة أخطوها ممسكا بالبانر ... أسير خطواتى و يرتفع صوتى بالنداءات إلى أن توقفت عن إخراج أى أصوات من حنجرتى سوى تمتمات أقرأ بها القاتحة على روح والدتى ... ألحت هى على ذاكرتى كثيرا فى هذا اليوم .. و فكرت فى أنها تبادلنى المشاعر و أننى ألح عليها بذات التدفق .. لذا فقد قررت تحيتها بالفاتحة .. و قد كان .

وما بين اكتئابى البادى على وجهى بكل تأكيد وبين حماسى أثناء تشجيع الزمالك .. بين فخرى و اعتزازى بفريقى وبين حالة السخط التى انتابتنى بعد هزيمتنا فى المباراة .. مر يومى كما مرت آلاف الأيام من قبل .. لكننى لم أذكر لك تلك المباراة عبثا .. فكونها مباراتى الأولى كأولتراس، هذا يعنى أنها كانت المباراة الأخيرة التى سأعيشها كمصطفى أحمد سعد الدين ذلك الزملكوى

المتحمس ... مصطفى الذى يعيش كمرضى الجرب بعيدا متواريا منكسرا فى معظم أيامه .. مصطفى الذى لم تكن له علاقة قوية بأحد من قبل خوفا من ان ينشىء علاقة بشخص – أى شخص – ليكتشف أنه أهلاوى مثلا .. فيتوقع طبعا أن هذا الشخص سيهزأ به يوما حتما حين يخسر الزمالك من الأهلى و هو ما لن أتحمله قطعا، وهو أيضا ما أكسبنى عددا لا بأس به من الخصوم، و هو ما يرعبنى من البشر ... مصطفى الذى يحيا من أجل الفكرة، الإيمان، العشق الذى كان يؤمن بعدم وجوده إلا بين أحضان الزمالك .

كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، وفى الحقيقة إن علاقة التوءمة غير المعلنة بيننا و بين الدراويش – رغم توترها مؤخرا - لها جذور تاريخية تضرب فى أرض الزمن لما يقرب من خمسة عقود، وقت أن كانت المدينة الهادئة الخلابة تتحمل وطأة الضربات المعادية لمصر إبان الحرب فى نهاية الستينيات، وقتها تم تجميد نشاط كرة القدم فى مصر لفترة قصيرة ثم عاد من جديد، لذا فقد توجب على الإسماعيلى كأحد أهم فرق الدورى أن يمارس نشاطه بشكل عادى، و لأن الإسماعيلية كانت لا تصلح لممارسة أى نشاط رياضى وقتها، لذا فقد كان لزاما على فريقها أن يتدرب ويلعب خارج حدود المدينة الهادئة، و كان ان رفض نادى القيم (الأهلى) استضافة الدراويش - وهو اللقب الذى يطلق

على فريق الإسماعيلى- فى ملعبه بالجزيرة للتدريب، ورحب الزمالك – برئاسة الراحل العظيم حلمى زامورا – بشدة، و فتح أبواب الملعب على مصراعيها، و من يومها قويت العلاقة وتشعبت، إزدادت الأُخُوة بين الأبيض و الأصفر، و اشتعلت نيران الكراهية بين الأصفر والأحمر، ولو لم تكن كرويا متابعا، دقيقا، حريصا على فهم بواطن الأمور لما تعاطفت للحظة مع جماهير الاسماعيلية، لكنك لو كنت هذا الشخص، أو على الأقل لو تعرف فردا إسماعيلاويا واحدا لفهمت، لوعيت، لمَ توهجت النيران و تزداد تأججا يوما بعد يوم ؟! ، فالمواطن الذى يحمل الجنسية الإسماعيلاوية كرويا يولد متعلقا بأحلام صفراء حول الدراويش ومهارتهم، ويعلم يقيناً ان فريقه هو (برازيل مصر) ... وهى كلمة تكاد تصيب كبد الحقيقة فالإسماعيلية بالفعل أفرزت ومازالت العشرات من المهارات والمواهب الكروية الفذة والتى غالبا ما تستطيع الاموال الحمراء أن تستقطبها فى اتجاه الجزيرة و هو ما يزيد نار الفتنة تأججا و اشتعالا .

الرجل الإسماعيلاوى – ووفقا للتاريخ – يعشق فريقه ويؤيده، يعشق من يساند فريقه وهو – وفقا للتاريخ أيضا – الزمالك العظيم، ويكره بكل جوارحه كل من يقف أمام تقدم فريقه ونماء مواهبه بين جدران ناديه أى أنه بكل تأكيد يكره الأهلى، لذا فقد تسمع دوما عن اشتباكات وتراشق بالحجارة بين جماهير الإسماعيلى

وجماهير الأهلى، تسمع أيضا عن تراشق بالألفاظ بين الجمهورين داخل الملعب وخارجه ويصل التراشق أحيانا الى المنتديات و المواقع الرياضية داخل أروقة الشبكة العنكبوتية، و أحيانا يصل الأمر إلى ذروته وتسمع عن تحطيم سيارة تحمل لوحات معدنية قاهرية أو حتى لها لون أحمر قان داخل حدود الإسماعيلية، لكننى ما زلت أؤكد لك يا سيدى ان استفزاز الجماهير الصفراء سهلا للغاية لأسباب تاريخية عميقة، والحق يقال إن لاعبى الإسماعيلية الذين يرضخون لنداء المادة بالإضافة قطعا لمسئولى القلعة الحمراء الذين يتفننون فى مضايقة الصُفر بتصريحات مستفزة، سافرة أحيانا، يزيدون من حدة هذا التوتر ويعمقون الخلاف يوما بعد يوم .

كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، خسارتها مثل الفوز بها، كلاهما يحمل العديد من المعانى، خاصة و أنها المباراة الأولى فى الدورى، خاصة و أنها مباراة صعبة على الفريقين – رغم الأخوة التاريخية - خاصة وأننا يملؤنا الأمل، خاصة و أننى على المستوى الشخصى أشتاق لفرحة هذا الفوز كما يشتاق الظمآن لشربة ماء ... كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، نلعبها على أرضنا، و حدث أن خسرناها بهدف، كان كلطمة حطمت عظام وجهى، كان كخنجر حاد اخترق كبدى، أحسست وقتها أننى سيئ الحظ وأننى (نذير شؤم) على الزمالك وعلى الأولتراس، لكننى سرعان ما تخلصت

من هذه الأفكار بسبب تكاتف زملائى فى مجموعة الوايت نايتس حولى، أو بمعنى أدق التفافنا حول بعضنا، حول المجموعة، حول الفكرة .

قطعا لم أكن الوحيد الذى تُقطِّعه مشاعر الهزيمة إربا وسط هذا الجمع الغفير، خرجت من الإستاد سائرا بجوار (ناصر)، تبادلنا بالكاد كلمات قليلة أخبرته فيها بأننى سأتصل بهشام ليأتى إلينا أمام المنصة فى ذات الموقع الذى أنزلنا فيه قبل المباراة، و أخبرنى فيها أن أفعل ما أراه مناسبا، لك أن تتوقع قطعا مشاعر الوجوم و الذهول التى تحيط بنا من كل جانب، البعض يهتف بالأخطاء الفنية فى المباراة، البعض يتمنى عودة الزمن للوراء ساعة واحدة لكى يفطن المدير الفنى إلى تغيير كان لزاما عليه أن يقوم به بإخراج لاعب كان خارج الفورمة، ونزول آخر كان سيفيد الفريق بكل تأكيد، البعض تترقرق فى عينيه الدموع، البعض يمشى صامتا كرمال الصحراء، وبعض المتفائلين يمشى مؤكدا أن أول مباريات الموسم لا تعنى الكثير و أن القادم أفضل بكل تأكيد، وأنا كما ذكرت كان يملؤنى الإحساس بأننى (شرارة) تلك الشخصية الدرامية العبقرية التى ابتكرها الكاتب الكبير (لينين الرملى) فى مسلسله الشهير (برج الحظ)، والتى جسدها الراحل العظيم (محمد عوض) بكل اقتدار والتى كانت (نذير شؤم) على كل من حولها،

أصابنى هذا الاحساس تجاه الأولتراس والزمالك وتملك منى تماما فصرت صامتا متجهما حائرا .

هاتفت هشام وانتظرناه لدقائق قليلة حتى وصل إلينا، قابلنا بابتسامة عريضة تحمل الكثير من معانى الشماتة والفرحة بسبب هزيمتنا من الإسماعيلى، تمنيت كثيرا ــ و أعتقد أن ناصر كان يشاطرنى ذات الأمنية ــ ألا ينطق هشام لكن لسانه لم يكف عن الكلام والسخرية منذ بداية الرحلة وحتى اقتربنا كثيرا من المعادى، أغلقت هاتفى منعا لاستقبالى أى مكالمات هازئة مازحة سمجة، هشام يسخر و يسخر و أنا أصمت أحيانا و أحاول أن أرد عليه أحيانا أخرى، لكننى و كأى زملكوى آخر اعتدت على تلك السخرية من معظم معارفى من مجاذيب الأهلى فلم يزعجنى ما يقال، أما ما كان يزعجنى حقا فهى الحالة التى كان عليها ناصر وقتها فهو كان غائبا عن الوعى تقريبا، ينظر إلى علم الزمالك بين يديه يكاد يبكى من فرط الذهول وهول الصدمة التى يبدو أنه لم يكن مستعدا لها و أنه كان يعد العدة لاحتفال من نوع خاص بعد الفوز الذى كان يعتبره بديهيا، احترمت صمته واحتملته كثيرا لكننى وعند عبور سيارتنا لموقف صقر قريش وإستعدادها لدخول مدخل المعادى لم أعد أحتمل وقررت مباغتته، درت بجسمى نصف دورة و قلت :

- إيه يا عم ناصر ... مالك ؟ .

رد بنظرة تكاد الدموع تخفيها :

ـ مالك ؟!!!! .... مليش يا درش .. مليش، أنا خلاص يا مصطفى، انتهيت .

استفزتنى جملته، فسألته :

ـ إيه ... كنت مراهن ع الماتش بخمسميت جنيه ؟ .

رد شاخصا :

ـ لا ... كنت مراهن عليه بحياتى ... انا اتنيلت ضعت يا مصطفى، روحت فى داهية .

ـ مالك بس يا ناصر ؟؟ .. صلى ع النبى و روأ كدة .

إعتدلت فى جلستى ثم وجهت كلامى لكليهما :

ـ تيجوا نقعد ع القهوة

قال هشام انه لن يجلس معنا على القهوة و أنه سيوصلنا فقط، ولم ينطق ناصر فاعتبرته موافقا، كنا فى تلك اللحظة ننتهى من شارع النصر أحد أهم شوارع المعادى، متوجهين يسارا حيث المنطقة الأكثر عشوائية و فقرا ... (العرب) حيث الاختيارات بين المقاهى كثيرة و متنوعة، اختار هشام أن يقف عند مقهى " أفريكانو " الواقع على سور الجمعية التعاونية التى أصبحت جزءا من التاريخ الآن بعد احتراق الجمعية بأكملها وتهدمها، وبالتالى اختفت (أفريكانو) وما كان يجاورها من مقاه و

عربات كبدة ومصادر لقمة عيش للعشرات، لأسباب مجهولة أو غير معلنة كما ظننا جميعا، و هى أسباب ظل أهالى المعادى يجتهدون فى خلقها ويتساءلون عنها لأسابيع إلى أن (مات الكلام) كما يحدث فى مصر دوما .

بيبسى وحجر قص كالعادة، وطلبت ليموناً بارداً لناصر، و إعتذر هشام وأخبرنا أنه مضطر لتركنا لارتباطه بسفر إلى الساحل بعد ساعات قليلة و أنه لم يحزم حقائبه بعد، سلم علينا وأدار ظهره لنا و أوقف تاكسى حديثاً لامعاً تغرقه الإضاءة الزرقاء من الداخل هاتفا .. " دجلة ؟؟ " ... توقف السائق طبعا لأنه لم يخلق سائق تاكسى بعد قد يرفض بنديرة دجلة ... ومع غلق هشام لباب السيارة كنت أدير الكرسى " البامبو " الرخيص لأواجه ناصر الذى كان يعتدل فى جلسته بعد أن جلس على علم الزمالك الذى كان يحمله و كأنه يخفى عارا ما، أدار الكرسى مثلما فعلت وطأطأ برأسه لأسفل، فسالته :

-أطلب لك شيشة ؟ .

-لا ... مش عايز .

مع حالته تلك تحول ذهولى و تعجبى إلى حالة من الإشفاق على ذلك الرجل الذى أعرفه بالكاد لكننى أتعاطف معه بشدة و سألته :

-مالك يا عم ناصر ... هى يعنى أول مرة تشوف الزمالك مغلوب ؟ .

وكأننى بذلك السؤال كمن أمسك بسكين صدئ محاولا ذبحه، فانفجر ناصر فى وجهى و ارتفع صوته كثيرا حتى تأكدت أن أبى النائم وقتها بالصحراء ليتابع بئرا بتروليا ما، قد استيقظ فزعا بسبب صرخته وحديثه، ومع إنفجاره هذا عرفت ما أتمنى الآن أن أمحوه من ذاكرتى اللعينة، التى تتميز بأنها لا تنسى مثل تلك الأشياء أبدا ... إنفجر ناصر ليخبرنى انه ظل طوال سنين عمره التى تزحف ببطء نحو الثلاثين يؤمن بالعديد من الأشياء والأفكار، لكنه فى هذا اليوم فقط اكتشف أنه كان الأغبى بين كل من يعرفهم من البشر لأنه ببساطة – وكما قال – خسر جميع رهاناته على كل ما آمن به و كل ما أحب.... طفلا لم يتجاوز عمره التاسعة كان ناصر عندما بدأ وعيه يتفتح فى هذا المكان النائى البعيد الواقع جنوب غرب بلاده الشاسعة (السودان) ... المكان الذى سمعنا عنه الكثير فى نشرات الأخبار و المسمى بـ (دارفور) ورغم أن أخباره تأتينا كثيرا فى نشرات الأخبار إلا أننى إكتشفت أننا بالكاد نعرف عنه شيئاً ... ورغم كل ما عرفته من الجرائد والأخبار المتواترة عن هذا الإقليم إلا أننى وبعد جلستى تلك مع ناصر عرفت أن حجمى يتضاءل يوما بعد يوم ليصبح مقاربا لحجم حبة الرمل ليس فقط قياسا على تخاذلى تجاه أشقائى البشر هناك، و إنما أيضا لفرط

الجهل الذى أعانى منه تجاه هذه البقعة (الشقيقة) من الأرض .

-معظمنا عرب .

هكذا قال ناصر بادءاً حديثه عن سكان الإقليم والذى قال إن عددهم يقارب الـ 6 مليون نسمة، يتحدث معظمهم لغات محلية بجانب العربية، وهم موزعون على القبائل المختلفة، قبائل يرتحل بعضها ويستقر على الأرض البعض الآخر، عرفت أن العصبية القبلية هى أهم أسباب الانشقاق الذى نسمع عنه دوما فى هذا الإقليم الملىء بالخيرات و النعم، عرفت أن معظم القبائل غير المستقرة – و التى ينتمى ناصر لإحداها وهى قبيلة المحاميد – تعانى ومنذ سنوات من وطأة العبودية اللعينة... وهو أمر واضح أنه معتاد ويتم التعايش معه هناك، فكونك جنوبى الميلاد و النشأة هو أمر يمنعك من الكثير من الحقوق، يحرمك من الكثير من حقوقك كبشرى، يحولك إلى أداة لا قيمة لها فى أيدى السادة الشماليين، و بمرور الزمن يعتاد الجنوبى على كونه رقم 2 دوما، و يعتاد الشمالى على أنه السيد والقائد والفاتح، وبمرور المزيد من الوقت يبقى طبيعياً أن يتسيد قانون الرق، أن تقبل أنت ببقائك عبداً لإنسان من بنى بلدك لا يفرقه عنك أى شىء سوى بضعة كيلومترات فى مكان الميلاد .

ابنا لراعى غنم كان ناصر، كان يوما يهوى المساحات الخضراء الممتدة ومشهد شروق الشمس فوقها، كان يشكر ربه كثيرا لأنه وُلد فى قبيلة مرتحلة لا تستقر إلا على أرض خضراء و تجدد موطنها باستمرار لأن الترحال مكنه من استكشاف أراض جديدة، ووجوه جديدة، وثقافات جديدة، شب ناصر على حب شيئين لا ثالث لهما، كرة القدم ورعى الأغنام، كان يهوى الرعى ويعشقه، يخرج مع أول خيوط الشمس، قائدا لقطيع من تلك الحيوانات الأليفة، حاملا فى جرابه كرة قدم ومجموعة من قصاصات الجرائد ووجبة طعام، ولا يعود إلا بعد أن ينمى قدراته الكروية قليلا، ويقرأ القصاصات كاملة، ويسد جوعه وجوع الغنم، ثم أتت الحرب ... فرت قبيلته، حاولوا جميعا التملص من ويلاتها، حاولوا التماسك كقبيلة واحدة، لكنهم جميعا فطنوا إلى أن فى تفرقهم الحل ... رصاصة طائشة أودت بحياة أبيه أمام أعين أبنائه، سمع وقتها الكثير والكثير من الصرخات، صرخات حادة أخرستها رصاصات أكثر حدة ظلت تنهمر عليهم من كل حدب وصوب لتودى بحياة عدد كبير من أهل قبيلته ... رصاصات كانت تنتقى الرجال والشيوخ، رصاصات لا تقرب النساء والأطفال والشباب، قال إنه يذكر جيدا مشهد الخيول و هى تجرى خلف الجميع فى محاولة اختطاف أكبر قدر منهم، ليتحولوا بعد ذلك إلى عبيد .... ترك ناصر كل شىء وركض، ركض تاركا

أغنامه، و أقاربه، و جرابه الذى يحوى كرته و عددا كبيرا من القصاصات .... ظل ناصر مع أخت وأخ فارين هاربين من محاولات تحويلهم لرقيق، وقعت أخته الكبرى بين يد أحد رجال الجنجاويد الأشداء – والجنجاويد كلمة تعنى حرفيا رجل يمتطى الخيل ويحمل مدفعا رشاشا – وهم مجموعات مسلحة أشبه بالميليشيات تحارب من فوق الخيول وتحترف النهب منذ سنوات طويلة داخل إقليم دارفور، ينهبون للحصول على قوتهم ولخدمة الجيش السودانى – كما يشاع - هذا بجانب أنهم يهوون بنات القبائل المرتحلة اللاتى ينكسرن كعيدان الحطب أمام سطوة الجنجاويد فى البلاد، و فى الأغلب تستخدم تلكم الفتيات كمدافئ فى أسرة الجنود ذوى القوة والسطوة والنفوذ، قال ناصر إن هذه الأخت حلمت يوما أن تتزوج وتستقر، وراهن هو عليها فى أن تحقق حلمها الصغير الضئيل والمشروع فى آن واحد، بأن تنشئ كوخاً صغيرا كمدرسة لأطفال القبيلة يتعلمون فيها أساسيات القراءة والكتابة والحساب، لينتهى بها الحال – قالها وهو مطأطئ الرأس – كمدفأة فراش وجارية أحقر من خرقة، فى منزل رجل تنازل عن نخوته طواعية ليحتفظ بالمزيد من النساء اللاتى كن بنات عذارى قبله، يجمعهن حوله ليزيدن من إحساسه بفحولته .

بدأ ناصر فى البكاء مع تذكره هذه الحكاية، و بدأت نظرات زبائن المقهى تلتهمنا التهاما، فأخذته بعيدا عن

المقهى، ركبنا السيارة واتجهنا بها إلى منطقة (الجولف) القريبة والتى تمتاز بهدوئها لنتحدث فيها باستفاضة، وهناك و على أضواء خافتة تنبع من عمود إنارة، أكمل ناصر حكايته ليؤكد فى كل حرف ينطق به أنه مخلوق عانى ومازال يعانى من وطأة الإحساس بالقهر و المهانة و الذل طوال عقدين من الزمان على الأقل، خاسر بذلك رهانه على أن يكون بشرى المضمون كما هو بشرى الشكل، قال إنه حاول إنقاذ أخته، أقسم لى على أنه حاول أن يفديها بحفنة دولارات قليلة كان يدخرها مع إخوته فقوبل بالاستهزاء و الرفض، حاول أن يفديها بنفسه فرفض هذا الجنجاويد المتعنت، حاول أن يختطفها فتعرض للجلد و كاد يقتل ... و علق ناصر على ذلك قائلا إنه شعر و هو يزحف على الأرض بعد ان إنتهى الجلاد من عمله، بأنه لم يقتله ليتركه – أى ناصر - وعاره يتصارعان طيلة الحياة، و لك أن تتخيل وتتعاطف وتصدق أنه فر من إخوته خوفا من رؤيتهم فى موقف مماثل، فقد اتفقوا ضمنيا على التفرق ونسيان بعضهم البعض وكان ناصر أول من نفذ الاتفاق، خاسرا بذلك رهانه على الرباط الوثيق الذى يربطه بهم، رباط الدم، وكما تناسى ناصر أخته و ما حدث لها، تناسى كذلك ما حدث لأخيه الأصغر ، كان يعلم يقيناً أن هذا الأخ سيعمل أجيرا فى إحدى المزارع فى الشمال إذا لم يحالفه الحظ ويهرب، كان يعرف طبيعة المصير الأسود الذى ينتظر

هذا الأخ، لكنه لم يحاول مجرد محاولة أن يدافع عنه أو أن يقوم حتى بتوجيهه لمصير أفضل .

حاول الابتعاد عن الإقليم والاتجاه شمالا إلى الخرطوم، عاصمة الأمل، كما كان يحسبها، لكنه وكالعادة خسر رهانه، فقد فشل بين أحضان الخرطوم فى أن يجد نفسه كمواطن سودانى وعومل بجفاء و برود و صلف كونه جنوبيا متخلفا، لا تحميه قبيلة ولا تستر عوراته الإنسانية أموال أو ثقافة، فتركها و هرب، وظل يهيم على وجهه مجددا ليحاول الحصول على تأشيرة لدخول الشقيقة الكبرى (مصر) والتى يسمع عن أهلها الكثير والكثير من الصفات الإيجابية خاصة و أن شريان الحياة الرئيسى الذى قدسته مصر والسودان قديما (النيل) مازال قائما ولن يزول على الأقل حتى يموت ناصر، و هو ماكان يعتقد ناصر أنه سيكون كالحبل القوى الذى سيجذبه إلى مصر بكل تأكيد .

-هو إحنا ناقصينك يا عم ؟ !! .

كانت تلك الحروف التى قالها موظف السفارة المصرية تخرج من فمه الذى يحتضن سيجارة من نوع سودانى فاخر حاد النكهة غير عابئ بأن تلك الحروف تحمل هذا المواطن السودانى العليل المهموم الممزق المزيد والمزيد من الضغوط وأنها تزيد من إحكام الحبال حول رقبته الضعيفة لتسد أمامه أبواب الأمل تماما،

فيخرج ناصر من الباب بعد أن يملى عينه من علم مصر الذى يعانق علم بلاده و ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة تحمل العديد من المعانى ويخرج من جيب بنطاله المهترئ قطعة قماش ممزقة يمسح بها ما تراكم من غبار حول قاعدة العلمين القابعين على مكتب الموظف... و يخرج خاسرا بذلك رهانه على الأخت الكبرى .

لكنه لم ييأس، التقى فى تلك الفترة ومجموعة من أبناء وطنه الذين يمتلكون ذات الطموح، طموح دخول مصر، وتجادلوا كثيرا جدا، صحيح أن منهم من كان يأخذ مصر كمحطة يقترب فيها من حلم السفر لأمريكا أو أستراليا أو كندا أو حتى إسرائيل ، (وهى حقيقة مؤسفة) ، صحيح أن منهم من كان يثق فى أن (ما أسخم من سيدى إلا ستى) و أنهم سيلاقون فى مصر أيضا معاملة غير آدمية، لكنهم سيذهبون إليها مرغمين فعلى الأقل لن يتم فى مصر تحويلهم إلى عبيد، لكن منهم من كان يرى أن مصر هى الأمل، وناصر كان من ضمن هذه المجموعة التى تأمل فى حياة هانئة مصرية خالصة، لم يكن يرغب فى اللجوء لأوروبا أو أمريكا أو أى قارة أخرى، فهو كعربى سودانى – وهذه قناعاته – لن يجد السلوى والدفء إلا بين أحضانها .... أحضان مصر .

ويبدو أن تكرار المحاولات أقنع مسئولى السفارة المصرية بإعطاء هؤلاء السودانيين اللحوحين تأشيرات بمواعيد إقامة محددة، مواعيد يعلم جميع أطراف اللعبة

أنها لن تكفى، وأن البقاء بصورة غير شرعية فى البلد سيكون هو الحل الأقرب و الأمثل والأسهل .

اقتات ناصر فيما تلا هذا اليوم من أسابيع بالفتات الذى يلقيه إليه إنسان عطوف من أهل بلده ... ظل يمشى و يمشى فى اتجاه الشمال، نجح تحت عباءة ليلة تفتقد قمرها فى عبور الحدود، كان يمشى كفرد من مجموعة كبيرة أفقر من أن تمتلك ثمن حافلة أو حتى ناقة تساعدهم على استكمال الرحلة، قال أنهم فقدوا طفلا وامرأة عجوز فى الطريق، قال إنه بكى بحرقة عندما صلوا على الطفل صلاة الجنازة و دفنوه فى ملابسه، قال إنه لم ير أقسى من مشهد صراخ الأم الشابة على فراق طفلها، قال إنه لن ينسى ذلك أبدا.... ساروا ساروا و معهم ناصر، تفتك بهم الهموم، يذرفون دما على بقايا وطن لم يترك لهم سوى سواد فى البشرة سيلتصق بهم حتى الممات كوصمة عار لن يمحوها شىء.. أشبع هو نظره ببحيرة ناصر الهادرة، التى كان يعلم بانها تخفى أمامها سرها الأعظم، (السد العالى) الذى شارك فى بنائه أحد أقربائه منذ عقود، قال لى ناصر إن هذا السبب وحده كان كافيا ليراهن على مصر فكم من البشر والممالك والأفكار والأقليات راهنوا على فشلها و استكانتها، و رغم ضعفها الذى إعتقده الكثيرون على مر التاريخ إلا أنها دوما ما كانت تفاجئ الجميع بانتفاضات تلو الأخرى، وتقف كالعروس الجميلة لتضيف لمسة هنا أو هناك على

صفحة وجهها الرائق، وكم من الألوان و الأعراق و المذاهب ذابت فيها تماما و لم يشعر أى منهم بأنه عضو غريب على جسمها .... لم يشعر أحد بذلك أبدا، لكن ناصر شعر بهذا، شعر به حين لم يجد مساحة ولو ضيقة له ليحيا بهدوء داخل أسوان ... فرغم طيبة أهلها الحقيقية إلا أن المدينة الهادئة رفضته ولفظته بكل بساطة لأنه لا يصلح لعمل أى شىء على أرضها كما قيل له، ليخسر رهانا جديدا، و هكذا ... ومتسولا ثمن تذكرة القطار المتهالك سافر إلى القاهرة – عاصمة المجد كما كان يتصورها – فهناك قد يمكنه الذوبان، هناك قد يستطيع العمل، هناك قد يستطيع الحياة، هناك قد يستطيع النسيان، ساقه بعض رفاق الرحلة الشاقة إلى المعادى، فإلى شقة حسنين دسوقى الخانقة، فإلى العتبة، وأنت تعرف الباقى ... ويمكنك أن تتعاطف وتصدق من جديد أنه رفض الزواج رغم حاجته النفسية و الجسدية إليه خوفا من إنجاب أطفال محكوم عليهم مسبقا بالتعاسة و البؤس و الفقر .

-و بكده أبقى و الحمد لله خسرت كل رهاناتى ... و كملت بماتش النهارده .

هكذا قال بنبرة هادئة بعد أن أفرغ شحنة كبيرة فى حكايته، كان يبدو كناسك حقيقى فى حب الزمالك، و أن هذا الفريق الذى يلعب الكرة فى بلد غير بلده، يبدو له

كبارقة أمل فى نهاية النفق .. لكنها سقطت فى تلك المباراة وانطفأت .

سألته غير مستوعب :

-وإشمعنى يعنى ماتش النهاردة ؟

قال أنه لم يختر تشجيع الزمالك عبثا ... فالزمالك بالفعل يذكره بنفسه كما ذكر لى من قبل، يعشق ناصر كرة القدم منذ الصغر، ويتابع أخبار اللعبة فى كافة أنحاء العالم بقدر المستطاع، ولم يستطع كبح جماح هذا الحب رغم كل ما مر به من ظروف قاسية، و لما أقام بمصر، سمع الكثير من أهلها يتغنون بأمجاد الأهلى.. وسمع الكثير عن أشخاص يتنصلون من زملكويتهم، أو يخفونها على أقل تقدير خوفا من السخرية و العار، وبمرور الوقت عرف ناصر أن الزمالك كان أسدا جسورا ذات يوم، عرف أنه كان مرعبا بقدر الأهلى، عرف أنه تسيد إفريقيا لمرات ومرات، عرف انه أول فريق عربى تم ترشيحه لدخول بطولة كأس العالم للأندية و أن البطولة أُلغيت وقتها، تأكد ناصر أن للزمالك بريقاً يقبع ساكنا تحت أطنان من الغبار ... قال إنه يشترك مع الزمالك فى ذلك، فناصر كان يمتلك بريقا فى يوم من الأيام، كان يوما يتسيد شباب قبيلته ويسيطر عليهم، ورغم الأوضاع غير المستقرة التى تعيشها القبيلة بسبب كثرة الترحال والظروف السياسية الطاحنة فى البلاد إلا أنه كان مرشحا

لأن يكون شيخ القبيلة يوما ما، وهو شرف كان ناصر يستحقه، كان ناصر يتمناه.. لكنه كالعادة كان حلما وضاع، كان وهما و تبخر، فبعد أن هرب من إخوته تحت وطأة الظروف حُكم عليه ألا يعود للأبد ..فكيف يعود و قد فقد السيطرة على نفسه ؟ ...كيف يعود و قد عجز عن مجابهة مشاكله و مشاكل عشيرته ... كيف ؟

وصحيح أنه لن يستطيع العودة لمكانه ومكانته، لكن الزمالك كان يقدر، هذا ما كان يؤمن به ناصر، و كان يعلم يقينا أن تكاتف الجماهير حول الزمالك قد يساهم بقوة فى استعادة الهيبة المفقودة مرة أخرى، لم يجد ناصر من يسانده فى السودان، لكنه يستطيع التكاتف مع الزمالك فى مصر ... وظل ناصر يراهن على الزمالك، وفى كثير من الأحيان كان الزمالك يخذله و يخذلنا جميعا، حاول ناصر كثيرا ألا يفقد الأمل، حتى جاءت تلك المباراة لتحطم آماله على صخرة الواقع، لييأس ناصر كليا، و يفقد إيمانه .. ولا أعرف لماذا بدا لى إيمانه بالزمالك منطقيا للغاية وقتها ... ويبدو أن جزءا من شحنته قد طالنى فازداد تعاطفى معه، التهبت مشاعرى تجاهه فوجدتنى مدفوعا للتربيت على كتفه ثم احتضانه، رويت له نكتة على لون بشرته فقهقه لها بصوت عال، ثم أوصلته لمنزله، وعدت أدراجى للبيت عازما على مساعدته فى إستعادة ثقته بالزمالك من جديد، ولم أستطع منع نفسى قطعا من التفكير فى أن ناصر أسد المدرجات

هو فى الأصل إوزة لا مخالب لها ولا أنياب .. حتى أنها فقدت صوتها بمرور الزمن وصارت أقلية منبوذة بين الإوز، تحيا فقط لتحاول امتلاك حق الصياح .

كنت قد نسيت موعدى مع شيماء بالقطع، حتى أننى نسيت هاتفى مغلقا، ولما فتحته وصلنى منها عدد لا بأس به من الرسائل المتدرجة فى الحدة، أرسلت لها أننى عدت لتوى من الإستاد وأن هاتفى فقد طاقته فجأة ولم أستطع إعادة شحنه.. نمت عكر المزاج بسبب حكاية ناصر وبالطبع بسبب الهزيمة المرة للزمالك فى مباراة اليوم .

واستمر حالى مع الأولتراس على هذا الوضع، العديد من المباريات، المزيد من الأسفار، الكثير والكثير من التشجيع والحماس، و للأسف المزيد والمزيد من الانحدار لفريق كرة القدم بنادى الزمالك، وتدور عجلة الزمن التى يبدو أنها لن تتوقف لتطوى المزيد و المزيد من صفحاتها و تتوالى معها المواسم الكروية، و تطوى معها المئات من صفحات حياتى الخاوية إلا من الزمالك وبعضا من شيماء و أبى ووليد و فودافون .... وكفرد أولترا حقيقى، تركزت اهتماماتى حول الفريق والمجموعة أكثر فأكثر، كانت المهمة الأسمى لنا جميعاً فى هذا الوقت هى جذب أكبر عدد ممكن من الناس، وكان طبيعياً أن أبدأ بناصر لأعيد له إيمانه بالفريق مرة أخرى، ليشعر أنه إنسان له دور من جديد ، وفى الحقيقة أن حالة

ناصر هذه ليست الحالة الوحيدة، فهناك بالفعل من هو مثلى ومثل الكثير من زملائى أصبح لا يشعر بقيمته، لا يشعر بأنه داخل حدود وطنه إلا أثناء تواجده بالكورفا سود، وقد يرجع ذلك لأسباب عديدة نعلمها جميعاً، فكثير من الشباب بالفعل أصبحوا لا يشعرون بالانتماء لهذا الوطن، وبعد أن إنقسمنا إلى جيل الزمن الجميل، وجيل تامر حسنى.. أهل بحرى الفلاحين وأهل قبلى الصعايدة ، عمال وفئات، مسلمين وأقباط، مثقفين وبوابين... كان طبيعياً أن يأتى اليوم الذى شعرنا فيه باللاجدوى، بالدونية، فننقسم إلى أهلوية وزملكوية، و طبيعياً أيضا أن يأتى اليوم الذى ننتمى فيه للزمالك و الأهلى أكثر من انتمائنا للوطن .

استطعت أن ألفت نظر عدد من المشجعين لما نفعله ولفكرنا ولعقليتنا بسبب النشاطات التى أمارسها، صرت أحضر الاجتماعات بشكل مستمر، أشارك فى مباريات الترحال قدر المستطاع، فأتصل بشركات نقل لتجهيز أوتوبيسات كبيرة لنقل أكبر عدد منا للسفر.... ثم تحديد موعد و مكان التجمع و إعلام الجميع به عن طريق تبادل التليفونات أو الرسائل، أو فى مرحلة تالية، الإعلان عن تلك المواعيد من خلال صفحتنا على الفيس بوك، نجهز للكورتيج الذى سنقوم به خارج حدود القاهرة ... وأشارك بقوة فى المدرجات، و خارجها .... ولمن لا يعلم أقول له إن المجهود المبذول من فرد الأولترا خارج الملاعب

يفوق كثيرا مجهوده داخلها، فبداية من الاجتماع لوضع فكرة الدخلة الجديدة، وهو إجتماع يحضره عدد قليل للغاية من الأشخاص، أفخر بأننى صرت واحدا منهم وذلك لنشاطى الملحوظ مع المجموعة وإحساس الجميع برغبتى الحقيقية فى التعاون وتقديم يد العون، ثم تأتى مرحلة الاستقرار على فكرة الدخلة وتنفيذها، ويجب أن تعلم أن إختيار مكان تنفيذ الدخلة أهم كثيرا من تنفيذها وذلك حفاظا على سريتها وخصوصيتها وتفردها، فلو أن مجموعة أولتراس الفريق المنافس علمت بفكرة الدخلة لاستطاعت أن تبنى فكرتها على دخلتنا لتسخر منها أو تحطمها تحطيما، وهناك تفاصيل عديدة أخرى فى تنفيذ الدخلة تتعلق بمقاييسها وأبعادها والمجهود المبذول فيها، فطبقا لفكر الأولتراس الذى نؤمن به إيمانا عميقا، ينبغى على أفراد المجموعة أن ينفذوها بأيديهم من الألف إلى الياء فمثلا نحن لا نستخدم فنون الجرافيك والطباعة فى الدخلات المرسومة على القماش والتى نطلق عليها الـ (تيفو)، بل نرسمها بأيدينا و نحدد أبعادها بأنفسنا و نلونها بأنفسنا، و بما أننى أعيش مشاغباتى الخاصة فى فن الرسم من حين لآخر منذ الصغر، فقد كنت أساهم فى التيفوهات بشكل فاعل ... كان بحق مجهوداً ضخماً للغاية ذلك الذى يُبذل فى تنفيذ الدخلات، حتى أننى فى بعض الأحيان كنت أظل ساهراً ليومين أو ثلاثة، مواصلا العمل فى فودافون و العمل مع الأولتراس ...

وكلا العملين يحتاج منى الكثير من التركيز، أركز فى عملى الصباحى لأن عدم تركيزى قد يعنى خسارته، و أركز بالقطع مع الأولتراس كفكرة راسخة لأننى للأسف اقتربت من الكفر بغيرها من الأفكار وأصبحت لا أؤمن بسواها .

وأرجو ألا تستهين بكلمة التركيز تلك، فمباراة فى إستاد القاهرة تختلف مقاييس دخلتها بكل تاكيد عن مباراة فى إستاد الكلية الحربية مثلا، يجب مراعاة أماكن السلالم و أعمدة السماعات و ارتفاع المدرجات بين كل إستاد و آخر، و نحن ندين بالفضل للبرنامج الرهيب Google Earth كثيرا فى تحديد هذه الأبعاد و المقاييس.. والأهم من كل ما سبق يجب علينا كمجموعة فاعلة ومؤثرة فى (الأولتراس) أن نبدع و نخلق العديد من الأفكار التى تحتاج قطعا للخيال الذى يحتاج بدوره للإثراء وبالتالى قراءة المزيد والمزيد من الكتب والروايات والقصص ومشاهدة المزيد والمزيد من الأفلام فهى أشياء تشحذ الخيال حقا وتزيد من حجم حقيبة خيال مخى بكل تأكيد .. ستسألنى قطعا عن التمويل ... دعنى أقل لك إن الاشتراكات الشهرية التى يدفعها كل فرد من أفراد المجموعة كافية بكل تأكيد لتمويل الدخلات المختلفة و أنشطة المجموعة المتعددة، و أقول لك أننا لا نأخذ مليما من رجال الأعمال أو مجلس الإدارة أو اللاعبين، وهذا لكى يظل صوتنا من رؤوسنا ولنعبر عن

رأينا بحرية .... وهناك أكثر من دليل على ذلك، فيكفى أن أقول لك يا سيدى العزيز أننا ارتدينا السواد يوما ووقفنا فى المدرجات رافعين لافتة تقول للاعبين (افتقدتم الرجولة ... ففقدتم تعاطفنا)، كنا قد إقتحمنا يوما ملعب حلمى زامورا (ملعب التدريب بنادى الزمالك) رافعين لافتة تقول (شوية لعيبة زبالة) كان الزمالك منهارا تماما وقتها، كان التخاذل واضحاً وضوح الشمس فى كبد السماء، كان الجمهور فى تلك الفترة السوداء يذهب للمدرجات ليقوم بواجبه، واللاعبون على الجانب الآخر يتفننون فى الخسارة أو فى تعمد الخسارة، فوجب علينا أن نعرفهم أننا نعرف ونملك صوتا، و بالقطع نملك حقا ... نحن يا سيدى لا نبالى أن يكرهنا أحد، أن يتهمنا أحد بالتفاهة، لا نبالى أن يكرهنا اللاعبون ومجلس الإدارة، فنحن نعمل من أجل الزمالك، من أجل الكيان الذى وُلد عام 1911، النادى الذى يحتفل بالعام المائة، نحن نؤمن بأن الجمهور أهم من اللاعب و عضو النادى و عضو مجلس الإدارة .... فنحن نصنع اللافتات، ننشد الأغنيات، نصنع الأمجاد، ولا ننتظر مقابلا لذلك، نحن لا نريد سوى شكل متماسك للفريق وبضع كؤوس ودروع لنضعها فى دولاب البطولات وسجل الانجازات، نحن بوقوفنا فى المدرجات كنا ومازلنا نبنى تاريخا جديدا للزمالك بدأ فى مارس من عام 2007 عندما وُلدت مجموعة أولتراس

وايت نايتس ... أولتراس الفرسان البيضاء، و أتمنى أن يستمر للأبد .

ويستمر ترس حياتى فى الدوران ... هدنة قصيرة فى كل صيف أتابع فيها فقط حرب الصفقات التى تدور رحاها بين الزمالك والأندية الأخرى، خاصة الأهلى... ومع حلول شهر أغسطس يبدأ الدورى العام، تلك الاحتفالية الطويلة التى تلهب مشاعرى أكثر فأكثر، لأسترد طاقتى مرة أخرى ... لأهاجم بضراوة كل الأهلوية الذين يملكون إصرارا عجيبا على أن يظلوا مكروهين منا .... وهو أمر لا أفهمه إطلاقا ... هم يروجون أنهم الأكثر عددا، وهى معلومة مشكوك فى صحتها، هم يزعمون أنهم الفريق الأقوى، أنهم نادى القرن، وهو لقب أخذوه بطريقة مشكوك فيها وعن طريق إحصائيات مغلوطة، هم يزعمون أنهم الأحسن، وأنا أرى هذه المزاعم جوفاء لا أصل لها، و حتى إن صحت، فلم وهم الأقوى والأكثر والأحسن يشغلون بالهم بنا نحن الأضعف والأقل والأسوأ ؟ لماذا يركضون خلف صفقاتنا لخطفها ؟ لماذا يستفز جمهورهم جمهورنا دوما ؟ لماذا ؟

ومع بدايات الدورى فى كل عام أبدأ أنا – كفرد أولترا – التحضير لموسم جديد، بكتابة مقالات للمجموعة يتم نشرها على الموقع الرسمى لنا ، أو على صفحتنا التى يمكنك العثور عليها بسهولة الفيس بوك لو كتبت ULTRAS WHITE KNIGHTS 07، أو برسم

تيفوهات جديدة، أو رسم شعار المجموعة و اسمها على الحوائط فى الشارع بالإسبراى وهو نوع من الدعاية للمجموعة والإعلان عنها عن طريق فن الجرافيتى، لجذب أنصار ومريدين جدد للمجموعة، و غيرها من المهام .... وبمرور الوقت أبدأ فى التفكير فى كل مباراة طبقا لحالة الفريق وموقعه فى جدول الدورى، طبقا لأهمية المباراة، طبقا للملعب، طبقا لحالة الأمن ومدى مرونته معنا وقتها ... أحرص على حضور التدريبات بانتظام، أحرص أيضا على السفر بين ربوع البلاد، الكورتيجات، الاجتماعات تلو الأخرى، و أكون مطيعا جدا فى حالة المثول أمام رجال الأمن و هو الأمر الذى حدث لى مرارا و تكرارا بسبب حوادث شغب كثيرة قمنا أو لم نقم بها، أو لنتلقى تعليمات وتحذيرات شفهية بالتزام الأدب، دار ترس حياتى ليقلب أياما و شهورا جديدة أقضيها بين فودافون و لقاءات عابرة بأبى و بوليد نهارا، الكثير من جسد شيماء الذى مللته حقا مساء ... و الزمالك ثم الزمالك ثم الزمالك ثم الزمالك ... حتى جاءت مباراة الديربى الثانية فى موسم 2009 / 2010 التى غيرت مجرى حياتى و كانت فيها كثنية قنا التى حولت مجرى النيل .. للأبد .

{بين الشوطين}

الزمالك زى مصر

● ●

الزمالك زى مصر
يعنى بعد النكسة و الهزيمة بتيجى من تانى العزيمة
وتجيب معاها ألف نصر
الزمالك زى مصر
يشبهها تمام
عشر خطاوى للأمام ... وخمسميت خطوة لورا
نفس الدسائس و النميمة و النفوس اللئيمة
واللصوص اللى ناهبين الشوارع
وماشيين واحدة واحدة بالغنيمة
ورغم دة
فى كل مرة بينهض نادينا
اللى هو زى مصر
بنلاقيه أو بنلاقيها
تنفض هدومها

وتتولد تانى عظيمة

....

الزمالك زى مصر

ناقصه يادوب حبة رتوش

الزمالك هو مصر

وأى نادى غير نادى الزمالك ... أنا ما اعرفوش

إهداء من رسام الكاريكاتير الخطير / عمرو سليم

الشـــوط الثانى

أول ربع ساعة

« الـديـربى »

منذ بدء الخليقة و العقل البشرى لم يكف لحظة عن العمل والتفكير، البشر فى كل بقعة من بقاع الأرض يبتكرون ويجددون فى كافة الأوجه العلمية والثقافية والاجتماعية والحياتية، ملايين الابتكارات والاختراعات، بلايين الأفكار المفيدة و غير المفيدة، آلاف الحروب دارت رحاها منذ فجر التاريخ، و دوما ما يتصارع البشر من أجل الأرض، من أجل الهيبة، من أجل الشرف، من أجل الفكرة، و أحيانا من أجل إخراج الطاقة، نعرف جميعا أن البشر قد ابتكروا الكثير و الكثير من الأفكار، لكن القليل منها فقط هو ما أثر فعليا فى كل أبناء الأرض، هو ما ترك بصمة واضحة، و أجزم أن ممارسة الرياضة كانت واحدة من أهم الابتكارات فى التاريخ البشرى، عرف البشر فيما بعد أن الرياضة تقوى العضلات و تزيد من القوة، فاتجهوا لها بحماس بحثا عن تلك القوة الكامنة فى داخلهم، وسعيا وراء الشكل الخارجى المتماسك المتناسق، عرفوا أن الرياضة تخرج شحنة لا بأس بها من الطاقة الداخلية لهم فمارسوها بمختلف أنواعها كبديل صحي عن العراك و التناحر، و مع مرور الوقت اكتشف الجميع أن الحصول على بطولة فى رياضة ما، هو مدعاة فخر و فرحة، فالتهب الحماس و اشتعل فى نفس كل رياضى، الكل يصنع مجده الخاص، الكل يسعى لملء سجله، وجاء أقارب الرياضى لتشجيعه و تحفيزه على الفوز لكى يستمدوا شرفا و مجدا عن طريق شرفه

ومجده، ثم تكاتف معه أهل قبيلته و عشيرته، فزاد معجبوه و مريدوه، و يزيد معهم عدد ممارسى الرياضة و بالتالى عدد المشجعين والأنصار، و يصبح للرياضى كفرد أو كواحد من فريق مشجعون فى كافة أرجاء بلده، ويمر الوقت أكثر فتوضع القوانين و الأعراف الرياضية فى كل لعبة، لتزيدها إثارة وتشويقا، لتنتزع الآهات مع كل فرصة تضيع، و تنتزع الصرخات التى تشق السماء مع كل فرصة تتحقق، و إذا كان لا رياضة بلا رياضى، فإن بكل تأكيد رياضة بلا أنصار هى شىء لا وزن ولا قيمة له ... الأنصار يزيدون من الحماس و يشعلون الأرض حول البطل، الأنصار يعلون من شأن الرياضة، الأنصار يزيدون من قيمة الفعل .

تشترك الرياضة فى ذلك مع الفنون، و كما فى المسارح و دور العرض السينمائى يمنى كل مشاهد نفسه بأن يكون فى مكان البطل، فى نفس شجاعته و إقدامه ووسامته و ثرائه، يمنى أنصار الرياضة أيضا أنفسهم ذات الأمانى، و يحلمون نفس الحلم، يتوحدون مع بطلهم، يحفزونه لأنهم يتمنون الفوز لأنفسهم، لقبيلتهم، لجلدتهم، لبلدهم... وعلى عكس الفنون لا تمتلك الرياضة دوما نهايات سعيدة، فكم من الأنصار يخرجون مهزومين، محطمين، باكين، صارخين ؟.. و هذا بالضبط ما يجعل للرياضة سحراً خاصاً ولا يماثلها فى هذا شئ، ففيها الكثير من المخاطرة و المقامرة، سواء مارستها أو

شجعتها، وهو ما يرفع من أسهمها دوما، هو ما يزيد من مساحات الجدل والنقاش حولها باستمرار، هو ما يجعلها الابتكار الأهم لبنى آدم مجتمعين... وأجزم أن عالم بلا رياضة سيكون بالتأكيد عالماً كئيباً، مريضاً، كما أن عالماً بلا أنصار ومشجعين هو عالم كئيب، صامت .

ولكرة القدم شأن خاص فى التاريخ البشرى، فهى رياضة ليست كأى رياضة، اترك الأوراق التى بين يديك الآن وانزل إلى الشارع، ستقابل حتما عددا من الشباب يرتدون قمصاناً رياضية ملونة بألوان الأعلام والفرق، يحمل ظهر كل منها رقما و اسما للاعب يفضله هذا الشاب، امش فى أى شارع جانبى لتجد بعضا من الشباب هنا أو هناك يمارسون كرة القدم بمنتهى الحماس، اتركهم فورا و انظر بدقة للسيارات التى تقف أو تمشى بجوارك، ستجد أعلام البرازيل وإيطاليا ومانشستر يونايتد والزمالك والأهلى وبرشلونة وريال مدريد و غيرها الكثير مدلاة من المرايا، أو ملصقة على أبدان تلك السيارات، ادخل أى مركز تجارى لتجد العديد من الملصقات والأيقونات والأعلام المتعلقة بعالم كرة القدم، لا تشتر شيئا من هناك، لكن اترك هذا (المول) و انزل لتشرب مشروبك الطبيعى على قهوة مصرية عادية، أو حتى إجلس فى (كافيه) صاخب، و ارمِ أذنك على المناضد من حولك لتستمع إلى المزيد والمزيد من الحوارات المرتبطة بكرة القدم المصرية وغير المصرية، و إذا لم

تقتنع بما يدور حولك، فإننى أدعوك لترك كل هذا، وقرر أن تخرج مع الأصدقاء لتجدهم سيجلسون فى الـ (play station) التى لا تقدم سوى مباريات كرة القدم رغم إحتواء هذا الجهاز الصغير على غيرها من الألعاب، ليتوحد الجميع مع أبطال كرة القدم فى العالم، ستصدقنى لما تستمع إلى معاركهم و خلافاتهم المتكررة بسبب تكرار الأخطاء فى اللعبة أو معاندة الحظ معهم، قرر أن تزور صديقا لك فى منزله لتجده يدعوك إلى مباراة (play station) جديدة (ع السريع)، أقنعه بأن يتناسى اللعب و قم بدعوته أنت لمشاهد فيلم سينمائى على قناة فضائية ما، لتجد الفواصل الإعلانية تمتلئ بلاعبى كرة القدم من الشرق و الغرب ... فلا تنفعل وتترفع وتنظر حولك فى تأفف متسائلا عن السبب الذى يدفع الكوكب بأكمله لمثل هذا الجنون ! فقط، صدق ما تراه و حاول أن تتفهمه، فكرة القدم ياسيدى رغبة، هوس، شهوة، ولا يضاهيها فى ذلك شىء .

وإذا كنت مصراً على الرفض و التكبر، فاترك كل هذا و إذهب لتجالس جدك و أصدقاءه، لتجد منهم شخصا أو أكثر ينتمى لكرة القدم أكثر من انتمائه لأسرته، فلا تنفعل عليهم احتراما لسنهم المتقدمة، لكننى أدعوك إلى أن تتركهم و شانهم و تذهب إلى المطار فى وقت توديع منتخبنا للبلاد، ليذهب خارج الحدود لملاقاة أى فريق آخر، إكتشف بنفسك كم البشر المودعين والداعين لهم

بالتوفيق، و إن تعجبت من تصرفات البشر هنا فإننى أدعوك لأن تكره بلدك و تتركها، اذهب لتريح نفسك من ضوضاء الكرة فى أى مكان آخر من العالم الرحب ... لكننى أقولها لك آسفا، لن تجد طلبك فى أى مكان، لن تجد غايتك فى كوكب الأرض، فهو كوكب يحيا لكرة القدم ... يحيا لهذا العشق .. لهذه الرغبة .

وإذا كانت كرة القدم بهذه الأهمية، فبكل تأكيد ستجد أن كل من يشجع كرة القدم يعلم أن المباريات المهمة لها طقوس خاصة، يتجمع فى يومها الأصدقاء فى مكان واحد، يتهرب الجميع من المواعيد و اللقاءات والأعمال، يتحرر الجميع من المسئوليات لمدة تسعين دقيقة آملين قضاءَها فى متابعة السحر الصادر من حركة الكرة، الجميع يضبط إشارات التلفاز على محطة بعينها فى انتظار جودة أحسن للصورة، معلق بعينه يعشقونه، محطة تلفزيونية تحمل أقل عدد ممكن من الإعلانات .... المباريات المهمة بمثابة (عطلة رسمية)، ولم يخترع البشر بعد فى كرة القدم ما هو أهم من مباريات كأس العالم و نهائى بطولة أوروبا على المستوى العالمى، فتلك مباريات يتابعها سكان كوكب الأرض بدرجات حماس شديدة متقاربة فى الحدة، أما مباريات الديربى و الكلاسيكو فلها شأن خاص جدا فى كل بلد، الكل يستعد، الجميع يتحفز، الكل ينتظر، الجميع يتلهف، و الكثير من البشر يتابعون، و أقل القليل منهم يركزون، و أنا أصرخ

فى المدرجات، أقف طوال تسعين دقيقة، ليس فقط لأننى أولتراس و الأولتراس لا يجلس، إنما أقف لأن توترى سيتضاعف حتما لو جلست، تتابع عيناى حركة الكرة فى أرضية الملعب كما تتابعاها فى أية مباراة أخرى، و لكن إحساسى بحركة كرة الديربى شىء مختلف. ففى أثناء تلكم التسعين دقيقة تنغمس أعصابى وحواسى فعليا فى هوة عميقة من النيران .

للديربى و الكلاسيكو، شأن خاص بحق، ليس فى مباريات كرة القدم فقط، بل فى جميع الألعاب الأخرى، دعنى فقط أُذكرك بأن مجموعات الأولتراس التى تنتمى لأى ناد لا تُشجع كرة القدم فقط ، مجموعة الأولتراس تشجع الرياضات المختلفة التى يشترك فيها النادى، ولهذا فنحن نتواجد بكثافة فى جميع الصالات والملاعب التى تستضيف كافة المباريات والمنافسات فى الألعاب المختلفة، وفى مواجهات الديربى والكلاسيكو يكون لنا شكل مختلف و شأن آخر ... تماما .

الديربى و الكلاسيكو، لفظان يختلفا فى المعنى لكنهما يحملان ذات الأهمية، فالكلاسيكو هو لقاء قطبى الكرة فى أى بلد، وفى الكثير من الأحيان تأتى أقطاب الكرة من مقاطعات ومحافظات مختلفة من ذات البلد كما هو الحال فى إسبانيا مثلا فكل من برشلونة وريال مدريد ينتمى لمقاطعة مختلفة عن الآخر ... أما الديربى فهو المباراة التى تجمع الفريقين الأهم والأقوى المنتميين

لذات المقاطعة أو المحافظة .... هذا هو وجه الاختلاف ... أما وجه التشابه فيتمثل فى أن كلا اللفظين يطلقان على المباريات الأقوى على الإطلاق فى كل بلاد العالم ... ستجدهما الأقوى فى بلاد مثل إسبانيا وإنجلترا مثلا، ستجدهما الأكثر حماسا فى بلاد مثل إيطاليا والأرجنتين والبرازيل، وفى مصر يجتمع اللفظان ... ليتم إطلاقهما معا على لقاء الزمالك والأهلى الذى يتكرر مرتين فقط فى كل دورة من دورات الدورى العام، وصحيح أن مباريات الديربى فى مصر تأتى باهتة فى أغلب الأوقات – و هى حقيقة مؤسفة - إلا أن سخونة التنافس تجعل منها أعراساً لا تتكرر كثيرا ... الديربى هو اليوم الذى تنتظره مصر وتتوقف فيه الحياة، تكف عقارب الساعة عن الدوران إلا فى الإستاد، تتلاحق الأنفاس، و يستعد الجميع .. وبطبيعة الحال وبحكم الانتماء والحب والإيمان تستعد مجموعات الأولتراس لهذا اليوم إستعدادا خاصا و مميزا، و قد ذكرت لك يا سيدى أننى عاشق محب مؤمن، لذا فقد كنت أستعد لذلك اليوم دوما بشكل خاص حتى قبل إنضمامى رسميا للأولتراس، أرتدى أكثر الأطقم التى تعبر عن انتمائى للزمالك أناقة و نظافة، أخرج من البيت منذ الصباح لأحجز مكانا متميزا ومضمونا فى المدرجات .. وطالما دعوت الله قبل الديربيات المختلفة التى عشتها أن ينصرنا، ويظل القلق ينهشنى لساعات وساعات قبل المباراة بأيام، لأجدنى مدفوعا بلهفة كبيرة لمتابعة

الأخبار والتطورات داخل الفريق محاولا تخمين الحالة المعنوية والنفسية للاعبين، ذلك أنها الأهم فى مثل هذه المواجهات، ودوما ما تمتلئ رؤوسنا – على حق – بكلام كثير مفاده أنه لا حسابات للديربى وأنه لا علاقة لموقع الزمالك والأهلى فى جدول مسابقة الدورى العام بما سيحدث فى المباراة، وأن هذه المباراة تحديدا دورى من نوع خاص يسعى إلى الكسب فيه كلا الفريقين رغبة منهما فى تحقيق مجد خاص وإضافة سطر جديد فى سباق الإحصاءات والأرقام الدائر بينهما منذ عقود و أعتقد أنه سيستمر للأبد ... أما بالنسبة للجماهير فتلك المباريات تعتبر فرصة ذهبية لتفادي السخرية المريرة التى ستسمعها من أنصار الفريق الآخر فى حالات الخسارة، وفرصة ذهبية لأن تؤكد لمعارفك من أنصار الفريق الآخر كم هو عظيم هذا الفريق الذى تشجعه بكل جوارحك فى حالة الفوز .

لك يا سيدى أن تعلم أننى ملأت رأسك بكل ما سبق من معلومات وحكايات عنى وعن حياتى وعن زملكويتى فقط لأصل بك إلى هنا .. ففى الديربى مربط الفرس .. فى الديربى الحدث الأهم .. فى الديربى سقط القمر فى المحيط و حجبت كل غربان الأرض ضوء الشمس ... فى الديربى الذى أقيم باستاد القاهرة الدولى يوم الجمعة 16 إبريل 2010 تعادل الزمالك مع الأهلى بنتيجة غريبة على مثل تلك المباريات الحماسية بنتيجة 3 – 3 ليكتمل بتلك

النتيجة عقد الأفكار الذى يتنامى فى ذهنى منذ طفولتى بأننا – الزملكوية – مضطهدين، عابسين، قليلى الحظ، نفتقر للسلطة التى تسمح لنا بشراء التحكيم و اتحاد الكرة ولجانه المختلفة وبالتالى نحن نخسر دوما .

هناك حقائق كونية مؤكدة فى مجال كرة القدم المصرية هى أن الأهلى لا يقدر على الحصول على المركز الثانى، بينما الزمالك – وبكل أسف – يتسيد هذا المركز فى الأعوام الأخيرة، بل إنه يحصل على مراكز أقل فى بعض الأحيان، حقائق كونية مشابهة تقول إن الزمالك لا يكسب الأهلى أبدا فى وجود اللاعب الأحمر النشيط محمد بركات ... سنين عجاف هى حقا التى لم نفز فيها على الأهلى، أذكر جيدا آخر فوز للزمالك على الأهلى، كان هذا فى مباراة الدور الثانى من الدورى العام موسم 2006 – 2007 يومها كان الأهلى ضامنا الفوز بدرع الدورى مهما كانت النتائج، لعبنا نحن بقوتنا الضاربة كاملة، ولعبوا هم بدكة الاحتياطى، حتى أن البرتغالى الداهية مانويل جوزيه – المدير الفنى للأهلى وقتها – سافر إلى بلاده و لم يحضر المباراة و ترك إدارتها الفنية لحسام البدرى – المدرب العام وقتها - و هو فوز لم يرضنى شخصيا ولم أشعر به، وما يؤكد قولى هذا يا سيدى هو أن آخر فوز للزمالك على الأهلى قبل مباراة 2006، كان فى مباراة الدور الأول عام 2001 عندما فزنا بنتيجة 3 – 1، و تلك كانت نهاية الأفراح، فمثلا

كانت مباراة الدور الثانى من نفس العام هى تلك المباراة الشهيرة التى هُزمنا فيها بنتيجة كبيرة 6 – 1، المباراة التى تندر عليها المصريون لشهور و شهور، المباراة التى عندما شاهدت اعادتها فى التلفاز سمعت المعلق مدحت شلبى يقول بالحرف (بسم الله الرحمن الرحيم ... والجون الأول للأهلى) وسمعته أيضا يتغنى فى كثير من المرات داخل المباراة (بيبو وبشير .. بيبو والجون) وبيبو هو خالد بيبو مهاجم الأهلى وقتها، أما بشير فهو الكابتن بشير التابعى أحد أهم مدافعى نادى الزمالك فى ذلك الوقت، ومنذ تلك المباراة المفجعة بدأت أسهم الزمالك فى التراجع يوما بعد يوم... ومن يومها وأنا أذهب للديربيات وكلى أمل وطموح، أتذكر وقتها دورى كلاعب آخر فى الفريق ينحصر دوره فى التحفيز و التشجيع، أجمع الجماهير حولى فى المدرجات لننادى بأصواتنا التى لا نملك سواها، نشجع لاعبينا بتدفق طوال تسعين دقيقة لكى نبلغ الأمل... تملؤنى تصريحات اللاعبين والأجهزة الفنية المتعاقبة على الزمالك بالتفاؤل، هذا التفاؤل الذى يتحطم دوما، ويبدو أننى لن أعيش لحظة الفوز على الأهلى أبدا .

الزمالك ناد له معجبون ومريدون بالملايين ليس فى مصر فقط، مثله فى ذلك مثل الأهلى، لكليهما مجلس إدارة، لكليهما أجهزة فنية عالية المستوى، يمتلك كلاهما كتيبة من النجوم، يمتلك كلاهما رغبة الفوز، ويمتلك

الأهلى أكبر عدد من مرات الفوز على حساب الجميع، ولا يستطيع أحد اللحاق به، و أنا كمشجع زملكوى أقف على حافة اليأس، و أكاد أكفر بما أعتقد، فعلت كل ما أستطيع تجاه الكيان، لكن الكيان أبى أن يريحنى وينجدنى مما أنا فيه، تغيرت الأجهزة الفنية و مجالس الإدارة، واللاعبين، ولم يتبق سوى الجمهور، والحال كما هو... وصدق أو لا تصدق يا سيدى، إنها لمأساة .

لكن ديربى الدور الثانى لعام 2009 – 2010، كان مختلفا بكل تأكيد، فهو ديربى حسام حسن، ديربى إثبات القوة، ديربى الحياة أو الموت .. وكان الاستعداد لتلك المباراة على أشده، فثقافة الأولتراس تؤكد أن الديربى يوم عيد، و فرصة لإثبات جدارة المجموعة و قوتها، كان الزمالك يومها يحاول – كما ذكرت لك من قبل – اللحاق بغريمه و مصارعته على المركز الأول و درع الدورى، كان يبدو كطالب مجتهد أصيب بمرض قاس فى نصف العام الأول فحاول أن يلملم ما فاته فى النصف الثانى فقط من العام ... و لأنه متفوق فلن يرضى أبدا بأقل من المركز الأول و ظل يحاول ويحاول .. صارع كل ما و من فى المدرسة .. زملاءه الطلبة الذين لا حيلة لهم والذين لا يحلمون بالمركز الأول قط، لكنهم يحاربونه، يكبلونه، يقيدونه بجنازير صدئة كى لا يحقق أحلامه، لأن هناك ذلك الفتى الأحمر الوسيم الذى يجلس فى مكتب الناظر دافعا المزيد من الأموال حاصدا المزيد من النقاط .

يومها كنت متوجسا متفائلا كالعادة، مستيقظا فى الصباح الباكر، آخذا إجازة مرضية – وهمية بالقطع – من العمل، الكثير من المكالمات الهاتفية بينى وبين أعضاء المجموعة بإعتبارى واحدا من المؤثرين وبقوة فى المجموعة -وهو فضل أحمد الله عليه- .... هاتفت كابو المدرجات لأحفزه وأستحثه وأطلب منه أداء مباراة جيدة فى المدرجات، تلقيت مكالمة أمنية المصدر قبل المباراة بساعات تأمرنى (كما تأمر غيرى من المجموعة وبعضا من أفراد مجموعة أولتراس أهلاوى) بالثبات الانفعالى وعدم الانسياق وراء محاولات الشغب، و كالعادة مررت على ناصر فى ميدان العرب قبل المباراة بخمس ساعات كاملة، وتفاءلت لما رأيته متلفعا بعباءته البيضاء إياها، تحدثنا كثيرا عن المباراة و ظروفها، لكنه لم يكن كأى حديث، فكلانا كنا واثقين من الفوز ثقتنا فى أنفسنا... كلانا كنا نثق فى العميد حسام حسن ... كلانا كنا نؤمن بعودة الزمالك .

هشام لم يرافقنا يومها، فضلت أن أكون بمفردى مع ناصر و ألا يلوث الأجواء أى أهلوى حتى لو كان صديقى هشام ... قطعنا الطريق بسلاسة غير معتادة، حتى وصلنا إلى منشية ناصر التى تزخر بالأهلوية، فما إن رأى مجموعة من الصبية علم الزمالك معلقا على زجاج سيارتى الخلفى، حتى بدأوا فى توجيه ألفاظ بذيئة لنا و لفريقنا، لكن هذا لم يضايق كلينا – أنا وناصر - إطلاقا،

فقد كنا نعتبره مرآة لما يشعر به جموع مشجعى الأهلى فى هذا اليوم، هم سيخسرون بكل تأكيد، هم سيأكلون النجيلة على حد التعبير الكروى، هم سيهانون كروياً على أرضية الملعب، و نحن سنفوز .. سنطحن عظامهم طحنا، و سنأخذ كعكة المباراة، و قد ننال كعكة الدورى كذلك .

وكما ذكرت لك يا سيدى فإن نتائج المباراتين السابقتين للزمالك، (وهما مباراتا حرس الحدود و اتحاد الشرطة) أثرتا كثيرا فى اقترابنا من الدرع ... و لكنك تعلم أيضا أن للديربى شأناً خاصاً، يمكنك يا سيدى لو لم تكن تعلم عن سير ذلك الديربى تحديدا أن تسأل، فهو سيناريو غير متوقع حتى فى أحلامنا، و اعذرنى إن لم أستطرد فى وصفى لخطة اللعب وحالة الفريقين والهجمات المهمة، اعذرنى كذلك إذا امتنعت عن وصف الأهداف التى جاءت فى ذلك الديربى الحماسى، واعذرنى حتى أن أحدثك باستفاضة عن شعورى أثناء المباراة، فأنا قد أحتمل كلامك عن أى مباراة للزمالك مع الأهلى، سأحتمل سخريتك منى عندما تتذكر مباراة الـ 6-1 الشهيرة، لكننى لن أحتمل إطلاقاً أن يأتى على ذاكرتى أى شىء قد يذكرنى بتلك المباراة، وذلك لأسباب منطقية جداً

بطبيعة الحال كنت من أوائل المشجعين اللذين دخلوا إلى المدرجات، ورغم أن الأمن منع الدخلات فى هذا اليوم ـ أى أننى لم أكن مضطرا للتواجد فى المدرجات مبكرا ـ إلا أننى كنت أعلم يقينا أن توترى الشديد

سيمنعنى من إنتظار المباراة إلا على كرسى فى الكورفا سود، التواجد فى المدرج وحده يملؤنى بمشاعر عديدة يختلط فيها الأمل بالسعادة و الاعتزاز والحماس، أشعر فى هذا المكان بأننى فى بيتى .. هنا لن أجد نفسى وحيدا، غريبا، منعزلا، هنا فقط سأتخلص من مسئوليات خدمة عملاء فودافون، وجدال أبى، إلحاح شيماء، سطوة وليد ... هنا سأعيش كأولتراس حقيقى ... هنا لن أخجل من زملكويتى .... هنا سأكون حراً .

ولما أطلق الحكم صافرة بداية المباراة، كنت فخورا بزملكويتى للغاية، كنت فخورا بإخوانى مشجعى الزمالك أيما فخر ... كنا يومها – على غير العادة – نملأ المدرجات عن آخرها .. كنا الأزهى .. الأعلى صوتا ... الأكثر حماسا ... تملؤنا الثقة... ثم جاء سيناريو المباراة ليغير كل تلك المشاعر .. نحرز هدفا فى الدقيقة الثانية فنفرح و نملأ المدرجات ضجيجا ... يتعادلون .. نحرز الثانى .. فيتعادلون ... نحرز التقدم.. فيتعادلون قبل نهاية المباراة بثوان .. لتخرج المباراة بيضاء كجيوب الغلابة .. تعادل قاس كان هو النتيجة فى الملعب .. وكرب وهم شديدان كانا هما النتيجة داخلى .. يخرج اللاعبون من الملعب كأصدقاء و أخرج أنا من الملعب أبكى دما .. كارها هذا اليوم الذى وجدت فيه نفسى زملكويا محبا لهذه الدرجة التى قد تقتلنى يوما ما .

رفضت يومها أن أحرس البانر بعد المباراة كالعادة ... كنت واحدا من فريق الحراسة باستمرار ... لكننى اعتذرت يومها ... و البانر أو تلك اللافتة المستطيلة التى تحمل شعار المجموعة تعد واحدة من أهم الركائز فى ثقافة الأولتراس، و المكان الرسمى للبانر فى المدرجات هو تعليقه على هذا السور الفاصل بين المدرج العلوى و السفلى فى الكورفا سود و هو لوحة بيضاء تحمل كلمة White Knights بالإنجليزية مكتوبة باللون الأسود ومن خلفها يظهر خطان أحمران متعرجان يعلوهما شعار المجموعة، وللمجموعة عموماً ثلاثة بانرات .. الأول هو البانر الرئيسى و الذى تحمله المجموعة فى مباريات الفريق هنا فى القاهرة و مقاسه سبعة عشر مترا X مترين، و الثانى هو البانر الصغير المخصص لمباريات الترحال و مقاسه عشرة أمتار X متر ونصف، أما الثالث و الأخير فهو أصغر حجما بكثير و تخصصه المجموعة لمباريات الصالات أى مباريات كرة اليد أو السلة أو غيرها، و الحقيقة أن ثلاثتهم بذات الأهمية والحساسية، فالقانون الذى يحكم أى مجموعة أولترا ينص على أن سرقة البانر عن طريق أى مجموعة أولتراس أخرى معادية يعنى بكل حزم أن ينفرط عقد المجموعة فورا ويصبح لا وجود لها حتى ولو تم استرداده ... وهو ما حدث فعلا لدى أكثر من مجموعة أولتراس حول العالم، وهذا لا ينطبق على أى من أدوات التشجيع الأخرى

كالأعلام والدفوف وغيرها فرغم أن سرقتهم أو إختطافهم يعد إهانة كبرى إلا أن عقد المجموعة لا ينفرط إلا فى حالة سرقة البانر... لذا فإن البانر يستقر فى منزل أحد أفراد المجموعة - لا يمكننى ذكر اسمه – حفاظا على سرية مكان البانر.. و لايخرج إلا قبل كل مباراة بسويعات، يأتى فى سيارة ويدخل المدرجات بسرعة وتحت الحراسة المشددة من أفراد المجموعة، و يخرج منها بنفس السرعة وذات الحراسة، إلا أننى يومها رفضت أن أسير فى موكب حماية البانر، فلم أكن على استعداد لتحمل أى ضغط.. وخفف من وطأة التهاب مشاعرى أن الأمن كان قد منع (الدخلات) نهائيا فى تلك المباراة كما ذكرت لك، فلم أضطر أيضا للبقاء مع الزملاء ولملمة التيفوهات وتوزيعها على المنازل تمهيدا لتوزيعها على الملاجئ ودور الأيتام ، فنحن فى تلك الدخلات نستخدم كميات ضخمة من القماش أو الأوراق، لا يمكننا استخدامها مرة أخرى نظرا لإحتوائها على ألوان وبويات و كذا، لذا فيجب علينا أن نتخلص منها، كنا نحرقها أو نغرقها فى بادئ الأمر لكننا اكتشفنا أن هناك من هم أحوج إليها فكنا نأخذها إليهم بعد كل مباراة

كانت أعصابى بعد المباراة تستقر على بضعة سكاكين حامية تمزقها إربا ... كنت أوقفت سيارتى بجوار نادى الزهور القريب و كنت مضطرا للسير حوالى كيلومتراً كاملاً أجتر فيه آلامى .. سار بجوارى ناصر و

أحد زملائى فى المجموعة يسكن هو الآخر بالقرب منى فى المعادى، طلب أن يركب معنا ... فلم أرفض، و سرنا سويا وسط الحشود المتألمة لتلك النتيجة غير العادلة و التى زاد من وطأتها السباب الجماعى المنظم الذى قامت به الجماهير الحمراء فى حق التوءم حسام و إبراهيم حسن ... و صحيح أن خلع حسام حسن لقميصه الأبيض و تقبيله و طواف الملعب به بعد المباراة أثلج صدورنا جميعا... ولكن ما فائدة ذلك ونحن نخسر فى نفس اللحظات حلم المنافسة على الدرع... نخسر بطولة جديدة .. وتنطفئ شمعة جديدة للأمل و الحلم .

سرت هائما مفكرا فيما حدث فى المباراة ... وتساءلت إلى أى مدى ستحتمل أعصابى تلك الصدمات المتتالية التى أتلقاها من الفريق الأول لكرة القدم بنادى الزمالك ؟ ... و إلى متى سيظل الأهلى محظوظا لهذه الدرجة، كان ما يزيد من همومى هو أننى أعلم تمام العلم أننى سأواجه عاصفة متجددة من السخرية و الاستهزاء بى و بفريقى من جيرانى فى المنطقة والذين سيسهرون بكل تأكيد فى انتظارى، و أننى سأواجه عاصفة مماثلة فى الصباح عندما أخطو أولى خطواتى داخل الشركة الحمراء التى أعمل بها .

كنت غارقا فى هذه الأفكار، كنا نسير و نسير، الضجيج و الصخب يملآن المكان، أبواق السيارات تصدر لحنا احتفاليا نعرفه جميعا، يخرج شاب أحمر من سيارته

ليسبنا، شاب آخر يحيينا ويقول إن كلا الفريقين كانا ممتازين وأن التعادل نتيجة عادلة، ... ضجيج، ضجيج، ضجيج، .. كاد الضجيج يفقدنى صوابى، فاتجهت إلى حيلة نفسية أحترفها منذ سنوات، فأغرقت نفسى فى أفكار بعيدة عما أعيشه الآن، و رغم أننى حاولت، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل واتجهت بأفكارى كلها تجاه الرمز، الأيقونة، حسام حسن، كان مشهد حسام حسن وهو يسجد على قميصة مؤثرا للغاية، كنت على يقين بأن حسام قد تحول بفضل موافقته وترحيبه بتدريب الزمالك، إلى أيقونة كروية مصرية بكل تأكيد، حتى لو ترك الزمالك، حتى لو رحل عنا بمشكلة أو خلاف حاد – لا قدَّر الله – سيظل حسام هو ذلك البطل الذى انتشل جسد الفريق قبل السقوط فى القاع، سيظل هو كما أتخيله دوما ... (محمد على) الزملكوى الذى كون لنا جيشا و جعل منا قوة لا يستهان بها، و هو أيضا (صلاح الدين) الزملكوى الذى دافع عن حدودنا و منع الاقتراب منها، كان كذلك مثل(قطز) الزملكوى الذى استطاع أن يقف فى وجه التتار ..... محمد على و صلاح الدين و قطز لم يكونوا مصريين، لكنهم دافعوا عنها بشرف وبقوة، كذلك حسام حسن، قضى أكثر من نصف عمره بين جدران الأهلى، ثم وقف فى أول الصف الزملكوى ليدافع عنه بشرف و بقوة، حسام لم يتخل عن فريقه القديم، هم من تخلوا عنه، لم يتفهموا حبه و إرتباطه بتوءمه إبراهيم وتخلوا

عنهما معا بدون أى إعتبار لتاريخهما المشرف مع النادى الأحمر، زعم الأهلى أنه فوق الجميع، وداس على التوأم، زعم الأهلى أنه نادى القيم، و رغم ذلك دهس قيمة كبيرة من أبنائه، و لهذا كان طبيعيا أن يأتى الوقت الذى يسجد فيه حسام على قميص الزمالك .

كنت أفكر و أفكر فى حسام، وما إن إقتربنا من البوابة الرئيسية لنادى الزهور والتى كانت تبعد عنا بأمتار قليلة، حتى جذبنى بعنف شديد أحد رفيقى، و عرفت أنه أنقذنى بهذه الجذبة من ارتطام (طوبة) متوسطة الحجم كادت تشج رأسى .. و التفت إلى مصدر الطوبة فوجدت مجموعة من الشباب العابث.. معظمهم يصغرنى بأعوام يرتدون جميعا قمصاناً حمراء تعبر عن إنتمائهم للنادى الأهلى ويوجهون لنا عددا قليلا من الحجارة وسط وابل من أقذع الألفاظ ... كانوا على بعد ما يقرب من عشرين مترا .. نقف نحن بالقرب من رصيف نادى الزهور، ويقفون هم على الرصيف المقابل لنا والذى يتوسط الشارع الكبير و يستقر على عتبات شريط مترو عبد العزيز فهمى ومدينة نصر، كانوا حوالى عشرة من الصبية، يملؤهم الحماس و الفخر بعد أن قهروا زملكويتنا بالتعادل السخيف فى المباراة، مجموعة شباب لم ولن ينفد منهم الطوب أبدا، فهم يقفون بجوار شريط المترو الذى يمتلئ كما تعلم بأطنان من هذه الأسلحة الفتاكة، و يحاولون أذيتنا بها، إضافة إلى استفزازنا

بعشرات الألفاظ النابية التى يعاقب عليها القانون يقولونها فى حقنا كزملكوية و فى حق حسام و إبراهيم حسن، رددنا عليهم وبمنتهى العصبية بإشارات خارجة بأصابعنا، مصحوبة قطعا بعدد لا بأس به من الشتائم، ويبدو أن هذا ما زاد من حماستهم فانحنوا جميعا على شريط المترو ينتقون منه عددا من الحجارة ليواصلوا قذفنا به، كثر عدد الزملكوية الخارجين من الإستاد لتوهم من حولنا، و تكاتفنا جميعا و عبرنا نهر الطريق باتجاههم، فى اللحظة التى زاد فيها عددهم أيضا نظرا لتجمع نفر من مشجعى الأهلى حولهم، كنت شخصيا فى ذروة انفعالى بسبب سبهم لحسام و إبراهيم، تحديدا كنت منفعلا لسبهم حسام، ففكرة أن يتم سبى بسبب الزمالك هو أمر معتاد و متكرر بسبب العصبية الكروية و التى أبادلها بعصبية مماثلة، أما حسام فلن أحتمل سبه أبدا خاصة بعدما حدث على أرضية الملعب، فحسام كان نموذجا حيا وشديد السطوع لرجل يحب ما يفعل، يصدقه، ويؤمن بقدرته على الوصول للهدف الأسمى، و أعتقد أن جميع الزملكوية فى هذا الوقت قد آمنوا به و صدقوه لهذا السبب، فنحن جميعا هذا الرجل، كلنا يبتغى الفوز، كلنا يشتهى النصر، ولهذا توحدنا معه تماما و صدقناه ولا زلنا .

وفى نموذج آخر للتوحد، كنت أعبر الشارع حين تقافزت فى ذهنى صور للعديد من المعارك المماثلة، و

التى كنت أفوز فيها أحيانا و أخسرها فى أحيان أخرى، لكننى كنت صادقا تماما و عازما أشد العزم على الفوز فى هذه المعركة بالذات، تمر بجوارى الحجارة لترتطم بسيارة أوقفها صاحبها البائس بالقرب من مكان المعركة، أو تصطدم بجسد أحد رفاقى، وفى محاولة منى لحماية وجهى إصطدمت بساعدى إحدى هذه الحجارة لتزيد من إنفعالى وتقوى من عزيمتى على الفوز أكثر وأكثر.. كنا نتفادى السيارات القليلة بنشاط ونحن نتوجه إليهم جريا ... حاولوا هم زيادة جرعة قذف الحجارة فى محاولة منهم لردعنا، فلم نزد نحن سوى إصرارا على إصرار ... كان عددنا كبيرا و كانوا مثلنا ... وبدأ الاشتباك وسط الهتافات العدائية والسباب...حتى إلتقى الفريقان، كانت دراما دموية، قريبة مما نشاهده فى الأفلام التى تجسد مثل تلك المعارك، كان أول من قابلنى فى تلك المعركة شاب يقاربنى فى العمر والحجم عاجلته بقبضة يدى فى نظارته الطبية فتهشمت تماما مسببة لى جرحا غائرا ... ضربنى فى ساقى بقدمه ضربة موجعة، فضربته بركبتى بمنتهى العنف بين قدميه، ليسقط أرضا وأذهب أنا لمساعدة رفيق لى، أمسكنى أحدهم بعنف و ألقانى على شريط المترو فقمت ممسكا بحجر كبير و ضربته به فى رقبته، ثم أمسكته و قذفته على لوحة من لوحات الإعلانات الموجودة على الرصيف، لتتهشم تماما... صراخ يملؤه الحماس يلف الأجواء، تجمع

عشرات الناس على الأرصفة ليتابعوا مباراة جديدة بين الزمالك والأهلى... أساعد صديقا، أتلقى ضربات وضربات، وسط ضجيج لا يحتمل وصراخ لا ينتهى... واستمر الحال على هذا النحو لدقائق .. كانت معركة عنيفة بحق، ندافع فيها عن شرف فريقنا ومدربه ... جُرح فيها العديد من رفاقى وجُرحت أنا فى ساعدى وقبضة يدى وقصبة ساقى وفى أعلى رأسى ... وبالمثل حدثت خسائر عديدة فى أجساد بعض الأهلوية، و ما هى إلا ثوان معدودة حتى جاءت قوة لا بأس بها من الشرطة لتكنسنا جميعا، وجدت نفسى لحظتها أبحث عن ناصر بلهفة لأنى أعلم أن إقامته فى مصر بصورة غير شرعية قد تسبب له مشاكل عديدة وقد تتسبب فى ترحيله من البلاد نهائيا، كنت أعلم أنه سينسى كل ذلك ويدافع عن الزمالك وكرامته مهما كلفه الأمر حتى الرمق الأخير، كنت أعلم أنه سيتعامل مع النادى على أنه قبيلته و مع حسام حسن على أنه شيخ القبيلة .

اكتشفت لحظتها أن عدد المتعاركين قد وصل إلى ما يقرب مائة شخص من الجانبين، كان الجميع فى حالة فوضى بسبب قدوم الشرطة، كان الجميع يحاول الفكاك من أنيابهم التى لن ترحم أياً منا، و فى واقع الأمر فإن الهروب من الشرطة فى مثل ذلك الشارع كان يسيرا للغاية نظرا لرحابته واتساعه، لكننى لم أفكر فى الهرب فعلا بقدر تفكيرى فى حماية ناصر .. كان الوصول إليه

سهلا نظرا لطول قامته الملحوظ، بيد أن إقناعه بالهرب كان صعبا بالفعل ... زحزحته من فوق أحد الأهلوية بصعوبة بعد أن هشم ناصر وجه الرجل تقريبا ... و دفعته دفعا ليجرى و بعيدا عن ساحة المعركة .... كان تجمهر الناس – من غير المتعاركين – حولنا يعطينا فرصة أكبر للهرب ... وعندما اقتنع ناصر ونظر حوله بسرعة ليجد الوضع متأزما بالفعل، قرر أن يتركنا و يهرب، كان الطبيعى أن نتفرق ثم نجتمع بعد نصف ساعة على الأكثر عند السيارة لما تهدأ الأمور .... لكن الحقيقة أن ناصر جرى فى اتجاه مساكن التوفيق القريبة ليختفى بين شوارعها المظلمة، وجريت أنا فى اتجاه بوابة نادى الزهور و هو ما كان تصرفا غبيا بحق، فإتساع الشارع لن يعطينى فرصة للاختفاء، فكان لابد أن أستخدم ما تبقى من طاقتى لأركض كالنمر و أستطيع الفكاك ... جريت وجريت، ركض خلفى فرد أمن نشيط، و مع كل خطوة أخطوها كانت طاقتى تنضب شيئا فشيئا .... والأهم أننى لم أكن أعى أن قوة الشرطة أتت بالفعل من هذا الاتجاه، لهذا كنت بجريى نحو باب النادى كمن رمى بنفسه بين أحضان جهنم .... لاحقنى الرجل النشيط بحماس، كان يصرخ و يأمرنى بالتوقف، يسبنى بلا انقطاع، وأنا أجرى بلا هدف محدد، حتى لحق بى بعد انتهاء سور النادى و أمسكنى بكل قوته ... ضربنى وجرجرنى كثيرا حتى ركبت البوكس كحلى اللون حديث الطراز مع عدد آخر من

الشباب من مشجعى الفريقين ممن لم يستطيعوا الهروب ... حاولت أن أنظر فى اتجاه جرى ناصر لأتأكد من نجاح محاولته ... وأراجع الوجوه حولى، فاطمأن قلبى لعدم وجوده ... فتملك منى الهدوء تماما رغم الصخب الذى كان يملأ السيارة... وظللنا وسط هذا الصخب المصحوب باهتزاز شديد من جراء رعونة السائق، حتى وجدنا أنفسنا بعد دقائق ندخل وسط استقبال حافل من بوابة قسم ثانى مدينة نصر .

ثانى ربع ساعة

« أنصر يا رب الأبطال »

لن أبتعد كثيرا عن الحقيقة إذا قلت إن ثقافة الأولتراس، تعد فكرا من نوع خاص ومتفرد بين الثقافات والأفكار الأخرى التى ولدها البشر وابتكروها، ليس لكونها ثقافة تعلى من شأن الانتماء و الولاء و الاجتماع تحت راية واحدة فحسب، و إنما أيضا لأنها تكسب العضو المنتمى إليها صفات شكلية محددة، فهو مثلا يمشى دوما معتدا بنفسه رافعا رأسه، ثابت الخطوات واثقها، وتكسبه أيضا صفات داخلية عديدة لعل أهمها أنها ترفع من درجة وعيه بقضايا فريقه و مشاكله، و بالتالى فهى ترفع من درجة إيمانه بقضية ما، مهما كانت بساطتها ... مما يصبغ روحه بصبغة محببة، ناعمة، تطبع على وجهه ملامح صوفية واثقة، لاحظ أننا نتحدث عن فرد الأولترا الحقيقى، وليس مجرد تابع، وفى أحيان أخرى يساعد فكر الأولتراس معتنقيه على الاستمرار والبقاء فى الحياة كأشخاص أسوياء، ففى حالتى مثلا ساعدتنى مجموعة أولتراس وايت نايتس كثيرا فى أن أكون شخصا جسورا لا يهاب أحد أو شىء، بعد أن كنت شخصا أخاف و أرتعد وبشدة من أى موقف صعب قد أقابله ... جعلت منى الأولتراس شخصا دؤوبا، شديد التركيز فى عمله وفيما يفعله للمجموعة، جعلت منى شخصا لا يخشى الوحدة كما كنت من قبل، فلمَ أخافها وحولى ما يقرب من أربع آلاف أخ هم العدد التقريبى لأعضاء المجموعة هنا فى القاهرة ؟ .. لمَ أخاف التجول بين المحافظات والسفر إليها بل

والاشتراك فى الكورتيجات على أرض الفرق المنافسة ؟ وأنا أمتلك العديد من الإخوة فى الدم من أعضاء المجموعة فى عدد لابأس به من محافظات مصر كالإسكندرية و الدقهلية والمنوفية و غيرها ... الخلاصة هى أننى و بعد انضمامى للأولتراس لم أعد أخشى الناس ... لم أعد أخشى التعبير عن ذاتى، لم أعد أهاب شيئا .

لم أكن خائفا بالفعل عندما كنت أخطو أولى خطواتى داخل قسم مدينة نصر ثانى، فهى لم تكن المرة الأولى التى أحيا فيها موقفا مشابها، كنت فقط متوجسا، تدور فى عقلى عشرات الأسئلة، لعل أهمها هل سأخرج من هنا الليلة، أم سأبيتها فى القسم ؟ ... و هو سؤال مهم للغاية، حيث أننى لن أستطيع تبرير غيابى عن العمل فى الصباح و هو ما قد يسبب لى مشكلة كبيرة مع مديرتى، و الحقيقة أننى سألتمس لها العذر إذا قامت بأى إجراء إدارى عنيف ضدى، حيث إننى استنفذت رصيد إجازاتى كاملا، بل زدت عليه بضعة أيام، و الحقيقة أن تركيزى مع الزمالك والأولتراس قد ألهانى كثيرا عن العمل، و هو بكل تأكيد ما يؤثرعلى مسيرتى فيه، لكننى شرحت لك مسبقا أننى غير راض أصلا عن تواجدى فى العمل الذى لا يلائم مؤهلى العلمى و انتمائاتى الكروية ... كنت أتساءل أيضا عن رد فعل والدى إذا علم أننى تشاجرت مجددا بسبب الزمالك ... والذى أعلم أنه لن يكون هينا على الإطلاق ... لكننى حمدت الله أنه الآن فى رحلة عمل

بالصحراء و أننى لست مضطرا لإخباره، غير اننى كنت أحتاج وقتها لشخص يخرجنى مما أنا فيه، شخص ينجدنى، ورغم أن ثقافة الأولتراس تقطع بأن مشجع كرة القدم أهم كثيرا بالنسبة للنادى من اللاعب و المدير الفنى وعضو الجهاز المعاون، بل عضو مجلس الإدارة، ذلك أنه يفنى حياته فى خدمة الكيان، على عكس الآخرين اللذين يتكسبون و يطعمون أبنائهم من خزينة النادى، إلا أننى سأكون كوميديا بحق لو كنت أعتقد أن حسام حسن أو أحد لاعبى الفريق أو السيد ممدوح عباس رئيس مجلس إدارة نادى الزمالك فى ذلك الوقت ... أكون كوميديا بحق لو ظننت أن احدهم سيأتى لنجدتنا، حتى لو طلبنا مساعدة أحدهم، و الحقيقة أن أحدهم لن يتأخر لحل أي من تلك المشاكل البسيطة، و لكن كيف نصل إليهم ؟ .. كيف ؟

كانت تلك الأفكار تراودنى أثناء صعودى السلالم مع مجموعة المشجعين المقبوض عليهم، وسط استقبال حاد من مخبرى و جنود القسم، إستقبال ملىء بالركلات و الصفعات، مغلف بالشتائم، أعلم يقيناً أننا بالنسبة إليهم مجموعة أخرى من (الصيَّع)، و أنهم مشغولون بمن هم أعتى منا فى الإجرام، ورغم أن هذا الاستقبال الحافل كان يزعجنى بالفعل إلا أننى آثرت الصمت حتى يأتى الفرج من عند الله ... وأفكر فى شخص قد ينجدنى من تلك المحنة .

بكل تأكيد سأجد شيماء ساهرة بجوار الراديو الآن تستمع لهذا البرنامج الذى لم أفهمه إطلاقا " أنا و النجوم و هواك " تستمع هى الآن لصوت أسامة منير الوقور الرخيم الذى يخبر بنات مصر أجمعين أن الحب هو أهم مباراة فى حياة كل منهن، و يدلهن عن طريق نصائحه الماسية على طرق اللعب فى تلك المباراة .. ثم يتركهن بعد نهاية كل جملة ليذهب بهن إلى فاصل إعلانى أو أغنية رتيبة الإيقاع لمحمد محيى أو نانسى عجرم، ستنتهى شيماء من البرنامج ثم تتكئ إلى أريكة حمراء وثيرة تحتل حيزا كبيرا من غرفتها، أريكة مريحة بالفعل التقينا عليها مرات قليلة، لكنها ستتكئ عليها الليلة لتذاكر بكل تأكيد الفصول المتبقية لها فى رواية "دون كيخوتة دى لامنشا" والتى نعرفها جميعا باسم "دون كيشوت" والتى كتبها العبقرى الراحل "ميجيل دى ثربانتس".... المبجل من قبل الشعب والحكومة الإسبانية، لدرجة اطلاق إسمه على كافة المراكز الثقافية الإسبانية فى بلاد العالم ... كنت أعرف هذه التفاصيل عن طريق شيماء نفسها و التى حكت لى مرارا و تكرارا أن "دون كيشوت" هى الحدث الأهم فى تاريخ الرواية الإسبانية عبر العصور، و يبدو أنها كذلك بالفعل، لأن شيماء لم تكف فى الأسابيع الأخيرة عن الحديث عن تلك الرواية حتى أننى كرهتها أكثر من كراهيتى للأهلى !!! .. تدرس هى هذه الرواية الطويلة الصعبة فى الكلية،

وتضطر الآن لمذاكرتها بجدية حتى تنجو من مقصلة الحصول على تقدير سيئ، فشيماء تحلم فعليا بأن تكون من أساتذة قسم اللغة الإسبانية بكليتها، وهو الحلم الذى يعطى لها مبررا وحيدا للتواجد على خارطة حياتى، فهو حلم مشروع أساعدها على تحقيقه بكل ما أستطيع كتعويض مسبق منى على الصدمة الكارثية بكل تأكيد التى ستشعر بها عندما أتركها وحيدة لتواجه هذا العالم بدون أبو نيرمين، وصحيح أننى لم أكن أول من لمس جسد شيماء، لكننى أُقر بأننى أول من ضاجعها، لم أكن أول من أحبته لكننى كنت أول من رآها عارية كيوم ولدتها أمها ... شيماء شخص لحوح بحق، ثقيلة على قلبى بحق، لكننى أعترف بأنها طيبة القلب وتحبنى بجنون ... أعرف أيضا أننى قد أتغاضى يوما عن صفاتها السيئة، و أجلس بجوارها فى قاعة مكيفة الهواء بأحد المساجد الكبرى لأعقد قرانى عليها وسط فرحة الأهل والأصدقاء، فقط لأؤدب نفسى على ما فعلته ببراءة تلك الفتاة التى كان خطؤها الأكبر هو أنها أحبت شخصا مثلى ... أعلم يقينا أن شيماء فصل لن ينتهى من حياتى ببساطة أبدا، أعيانى تفكيرى فى قضيتها معى كثيرا، لكننى فى موقف كهذا أقول لنفسى إنه ها قد أتت الفرصة الذهبية لكى تتركنى هى بكامل إرادتها ولا أتركها أنا بإرادتى .. أو أننى أريد أن يبدو الأمر على هذه الصورة

... وعموماً وبما أنها فى أول الأمر وآخره فتاة، فهى إذن لن تكون أبدا الشخص الذى أحتاجه هنا و الآن .

أما أبى، هذا المهندس الوقور والذى يحفر الأرض لمدة تزيد عن العشرين يوما فى كل شهر باحثا عن الذهب الأسود و الغاز الطبيعى فيبدو أنه لم يشف بعد من جرح وفاة أمى و لهذا قرر أن يقضى أطول مدة ممكنة وحيداً فى الصحراء، وبكل ثقة أستطيع القول إنه ساهر حتى الآن فى ركن قصى من الموقع متأملا نجوم السماء، جالسا فى حضرة أغنية " أمل حياتى" للعظيمة الراحلة "أم كلثوم" التى كانت من النقاط المضيئة القليلة فى تاريخنا المعاصر التى استطاعت تجميع عدد مهول من العرب من الخليج الدافئ للمحيط الشاسع، ويدندن معها "وسيبنى أحلم ... سيبنى" حالما بأمى، داعيا لها بالرحمة، دعاء أشاطره إياه بكل تأكيد، لكننى أدعوه أن يسامحنى هنا والآن، فرغم محاولات الرصف التى قام بها كل منا فى الدرب الموصل بيننا فى الفترة الأخيرة إلا أننى أعلم يقينا أننى لم أفهم هذا الرجل قط، عاش محاولا الحفاظ على هيبتى وهيبة وليد الاجتماعية، عانى كثيرا فى صحارى مصر و المملكة العربية السعودية لكى يستطيع أن يؤمن لكلينا شقة فاخرة بمكان فاخر، حاول أن يضمن لى وظيفة محترمة و بروازا إجتماعيا أنيقا حين ظل يقنعنى باللحاق بوليد و تقديم أوراقى فى كلية الشرطة، ساعدنى كثيرا أثناء دراستى للفلسفة، أوجد لى

أكثر من فرصة عمل مناسبة أثناء الدراسة، لم أعمل فى أى منها لأننى شاب أخرق، كسول، ميسور الحال، لا أريد تخشين يداى إلا بعد حصولى على الشهادة الجامعية، ولم التعجل والإضطرار للعمل و أنا أضمن 500 جنيه على الأقل مصروفاً شهرياً ثابتاً ؟ بالإضافة إلى ماتيسر من أموال الدروس و الكتب و تصوير الأوراق و التى كنت أسرق بعضها أحيانا ؟ زائد ما أشتهى من ملابس الصيف والشتاء بدون نقاش أو حتى محاولة، سواء من والدى أو من أمى – رحمهما الله – لإثنائى عن الشراء .. وقطعا غرفة مستقلة بالمنزل بها كمبيوتر حديث تجاوره يوميا ثلاث وجبات مضمونة حيث إننى عشت شهورا فعلا بدون أن أزاملهم حجرة الطعام لأسباب مختلفة أهمها هو الصفة الملتصقة بى منذ الصغر وهى الصفة التى تقولها عنى أمى دوما " الواد مصطفى دة براوى من يومه "، حاول أبى كثيرا، و أنا لم أكتف فقط بعدم مساعدته على تنفيذ ما يتمناه لى، إنما أيضا لم أحاول حتى أن أتفهمه كأب محب لولده .. حتى أنه لما حصل لى على وظيفة فودافون ترفعت عنها، إلى أن جاءت اللحظة التى جزم فيها – ولأول مرة فى تاريخنا معا - بأنه سيطردنى من المنزل حتما لو رفضتها .. أبى فصل وعر فى حياتى المظلمة، أبدا لن ينتهى، ولن أطلب منه أى شىء سوى الدعاء لأمى بالرحمة و الدعاء لى بالهداية .. ونظرا لبعد

المسافة بيننا فلن يكون بالتأكيد الشخص الذى قد ينجدنى هنا و الآن .

وبالنسبة لهشام فساهر بكل تأكيد ليذاكر بجدية متطلعا للتخرج من مودرن أكاديمى بعد سبع سنوات عجاف قضاها بين جنباتها ليحصل على بكالوريوس هندسة لا قيمة له مثله مثل أى بكالوريوس أو ليسانس آخر، لكنه فقط سيضمن له عروساً متعلمة، ووظيفة مؤكدة فى مصنع العدادات الذى يملكه أبيه بالسادس من أكتوبر، والذى يستقبل فيه الوالد تلك العدادات آتية من الصين ليجمعها هنا فى بلدنا ويعطينا نحن الشعب – الجميل حقا – عدادات صينى تقفيل مصرى، وهشام هذا الشاب العابث يؤمن فى قرارة نفسه أنه لا يوجد على سطح الأرض أى مكان يمكنه قبول غزارة معلوماته عن الهندسة وعلومها سوى مصنع أبيه والذى يخطط هشام للاستيلاء عليه بعد وفاة أبيه عن طريق الميراث ثم تحويل أرض المصنع وما عليها لمجمع كافيهات يجنى من ورائه الكثير، اليوم فقط أكتشف أننى صديق لهشام ليس لأننى أحبه، لكننا فقط نشبه بعضنا بشدة، فهو أيضا يخشى التطور، يريد أن يصل إلى ملذاته، يحيا ليفعل ما تمليه عليه نزواته لا ما يمليه عليه ضميره، اكتشفت بعد تفكير سريع أنه بالفعل شخص بلا تأثير فى حياتى، فهو ليس ككوب الماء الضرورى الذى سأموت بدونه إنما هو ككوب المياه الغازية الذى يمكن الاستغناء عنه أو

إستبداله بآخر فى أى وقت أريد.. ولهذا فإن هشام ليس الشخص الملائم لى هنا و الآن إطلاقا .

والسيد ناصر، لن يأتى قطعا، وبالقطع لن أطلبه، فتركيبة مثل ناصر وبعد أن خسرت جميع رهاناتها وصُدمَت فى جميع اختياراتها، لن تحتمل بكل تأكيد صدمة جديدة أو خسارة رهان جديد على تعاطف ضابط مباحث شاب، عله يتفهم خوضه لمعركة كروية من أجل الدفاع عن شرف الزمالك ومشجعيه رغم أنه يقيم فى بلد هذا الضابط بصورة غير شرعية، أصبحت العودة إلى السودان من جديد بمثابة الكابوس الذى يهرب منه ناصر دوما، فلمَ يعود ؟ .. لمَ يعود و هو ذلك الجمل الشائخ الذى يهيم فى الدنيا بلا زوج أو أخ أو حتى رفيق درب التيه ؟ ... لمَ يعود إلى وطن لا يوجد به مرآة حقيقية تعكس آدميته و تشعره بأنه يشغل حيزا ماديا من الفراغ ؟ .. لمَ يعود إلى وطن لا يوجد به زمالك ؟!!! ... ناصر أيضا غير موجود و لن يكون موجوداً ... ناصر ظل طوال حياته صفرا على اليسار، و لهذا لن أطلب منه اليوم أن يكون صفرا على اليمين و آسفا أقولها، إن ناصر لن يكون الشخص الذى أحتاجه هنا و الآن .

أثناء تواجدى فى البوكس الضيق الخانق، و أثناء انشغالى بالدم النازف من جروح رأسى و ساعدى، كنت أقلب فى أوراق حياتى عن شخص قد يصلح لنجدتى مما أنا فيه، كنت أُمسك بهذا " الألبوم " قليل الصفحات،

وأجرى بين صفحاته، فلم أجد شخصا واحدا، لا أحد من الجيران، لا أحد من الأقارب، لا أحد من زملاء العمل، و بالقطع لا أحد من شيماء و أبى وهشام و ناصر للأسباب سالفة الذكر، إذن لا مفر من مهاتفة وليد.. لا مفر.

خمس سنوات فقط هى ما يفصل بينى و بين وليد فى العمر، لكننى أشعر أحيانا أنها خمسة عقود، كم من المرات منذ أن كنت طفلا اختلف معى و تعارك و انفعل لأسباب واهية بالفعل، كم من المرات كرهته فيها، كم من المرات كرهت فرضه لنفسه على حياتى بدعوى (سُلطة الأخ الكبير)، ذكرت لك أن طبيعة عمله كضابط شرطة أكسبته مزيدا من العنف والصلف، لكننى أحتاج فعليا إلى طبيعة عمله تلك، أحتاج الآن إلى ضابط شرطة بجوارى، أحتاج إلى البدلة الميرى التى ستنتشلنى بكل تأكيد مما أنا فيه، أحتاج إلى وليد، الذى لن يرد علىَّ حتما ... لأنه قرر مقاطعتى منذ شهور .

المعادى فى العموم حى راق، معظم سكانه من علية القوم، وتلك الشريحة من البشر تجدها فى الأغلب متأففة، مترفعة، متسقة مع ذاتها تماما، وتعلم قدر نفسها تماما، فاهمة لما يدور حولها، يولد كل منهم و فى يده خريطة صغيرة ترشده إلى الكتف و من أين تؤكل، يعملون فى شركات ضخمة أو وظائف حكومية رفيعة، ينشئون العديد من المشاريع التى تنجح بكل تأكيد، لأن أصحابها من سكان المعادى، تقرر الحكومة أن تضمهم

إلى محافظة حلوان الوليدة فيثورون ويحتجون و ينظمون الوقفات الصامتة لا لشىء غير (البرستيج) الذى يمنعهم من الاقتراب من الناس (البيئة)، يظهر عندهم شاب أخرق يستهدف البنات فيطلقون عليه (السفاح) ويستحثون الحكومة لتقبض عليه سريعا خوفا على بنات الذوات من غدره، فيحدث لهم ما تمنوا وتجد الحكومة هذا السفاح سريعا..، ورغم التصاق المعادى بحى البساتين الشعبى، و رغم احتواء المعادى على مناطق (العرب – شارع أحمد ذكى – شارع حسنين الدسوقى – شارع 77 الذى تنعرج منه يميناً إلى المناطق الشعبية ويساراً إلى الفيلات والعمارات الفارهة - فايدة كامل)، إلا أن معظم أهل المعادى يتناسون ذلك تماما و يقررون التركيز مع (دجلة – شارع النصر – الثكنات – شارع 9) و غيرها من المناطق المتميزة ..، ولأن طبيعة أهل المعادى لا تقبل الخسارة فقلما تجد بينهم زملكوى، الكثير والكثير جدا من البشر رجالا و نساء يملأون جنبات المعادى ليل نهار، ملايين الكلمات تخرج من أفواههم يوميا عن الكرة و سحرها، و القليل جدا من مشجعى الزمالك ومحبيه، هذا ما يخلق منى أقلية بائسة تعيش وسط غابة حمراء لا ترحم، و لهذا أهرب إلى ميت عقبة يوميا، فهى المنطقة الأكثر بياضا فى مصر، أهرب لأجد فيها السلوى و الرفقة، أهرب لأجد فيها أناسا تشبهنى، لكننى أعود مضطرا لبيت يملؤه الأهلوية، داخل عمارة لا

يوجد بها زملكوى غيرى، فى شارع يسكنه سبعة زملكوية على الأكثر، فى حى يرفرف فى سمائه شيئا واحدا، علم النادى الأهلى .... لكننى مع الوقت صرت أكثر شجاعة، واجهت قدرى متسلحا بزملكويتى، كنت أنزل من بيتى أيام مباريات الزمالك و أعود إليه مرتديا قميص الزمالك بكل إباء و فخر مهما كانت نتيجة المباراة، أجلس على كافيه فى المعادى وحيدا مشجعا الزمالك متلقيا آلاف النظرات الساخرة و المتحسرة على شبابى الذى سيضيع – من وجهة نظرها – على فريق لن يكسب أبدا ... لكننى أبقى دوما حريصا على زملكويتى، محافظا على عذريتها، مدافعا عنها حتى الرمق الأخير

المعادى لم ترحمنى أبدا ...

وكما ذكرت لك فقد خضت العديد والعديد من المعارك الدامية بسبب السخرية من زملكويتى، والحقيقة أننى أخوض تلك المعارك راضيا، قانعا، فائزا بمعظمها، فوزا نابعا من قناعتى وإيمانى بقضيتى البيضاء، وبطبيعة الحال لم تكن معاركى تلك تلقى أى قبول أو استساغة من أسرتى، وخاصة وليد الذى كان يعاملنى بقسوة وفجاجة شديدة بعد كل معركة أخوضها، من باب أننى سأسبب له يوما حرجا بالغا وذلك قطعا بسبب وضعه المهنى المتأزم، وصحيح أننى أتفهمه تماما، لكننى كنت أتمنى أن يبادلنى هو يوما نفس التفهم وأن يقر و يعترف بأن إيمانى بالزمالك أهم كثيرا من صف الدبابير التى يحملها فوق

كتفيه، لكنه أبدا لم يفعل، وأنا لم أعد أقوى على مجادلته، فبين السياط المتتالية التى أتلقاها من زملكويتى وشيماء وضغط العمل على أعصابى، لم أكن لأحتمل أبدا سوطا جديدا يدعى وليد، أبدا .

فى أواخر عام 2009، وقت أن كنت أستمتع بجسد شيماء فى منطقة منعزلة بالمعادى، عبر عدد لا بأس به من القبلات واللمسات الحانية، كانت متألقة ومتجاوبة للغاية يومها، و كنت أشعر برغبة قاتلة فى التهامها التهاما، حدث أن ظهر فجأة شابان، حاولا التحرش بنا وسباها بألفاظ نابية مما أثار رجولتى، أمرتها بالابتعاد وتوجهت لهم بثبات، متحسسا الـ Electric chock التى أحملها أحيانا فى حزامى، وبعد معركة دامية بحق، خسرت فيها إحدى أسنانى، وأصبت فيها بجرح غائر فى الكتف اليمين، وخلع فى الكتف اليسرى، و نجحت فى إصابة كليهما إصابات بالغة، انتهت المعركة بمحضر مشاجرة تم عمله فى مستشفى خاص قريب، وكالعادة جاء وليد لينقذنى، لكنه جاء يومها وقد بلغ منه الغضب مبلغه، خصوصا بعد معرفته بسبب المشاجرة، وتأكد من أننى كنت ألهو بجسد الفتاة، فهب الشابان لتربيتى وتأديبى، رأيت وليد يومها كما لم أره من قبل، دخل المستشفى بخطوات متعجلة، فتح الباب بعنف، تحدث للحظات مع أمين الشرطة الذى كان يستعد لفتح المحضر، فتوقف القلم فى يده، توسم القوة و السطوة فى

أحد الشابين فأخذه إلى الخارج، ليعود و يأخذ صديقه ويرحلا بعد إجراء الصلح، وينتهى كل شىء فى لحظات، ... وبعينين حمراوين تماما من أثر الإرهاق والغضب نظر لى وليد، ثم صفعنى على وجهى أمام الجميع بدون مراعاة لأى شىء، حاولت أن أرد كرامتى فلم يعطنى فرصة، حاولت أن أستردها عندما عدنا للبيت حتى أننى حاولت صفعه مثلما صفعنى – لأول مرة فى حياتى - فعاجلنى أنا و أبى وأصدر بيانا أعلن فيه أنه لن يتدخل فى شئونى مرة أخرى، بل إنه لن يعيش معى مرة أخرى تحت سقف واحد، و أنه مل، و أنه يلعننى فى كل يوم، و أنه، وأنه ... إلخ، و عبأ حقيبته بالملابس، وإنسحب من المنزل فى خفة، عرفنا أنه لبث عند صديق له فى المعادى لأيام قليلة، ثم شارك زميلا آخر له السكن فى شقة صغيرة بالعباسية بجوار عمله، وانتهت علاقتنا على هذا النحو، حتى أنى لم أره من وقتها، وفقط أعرف أخباره المتواترة من خلال أبى الذى يراه و يهاتفه بانتظام، .. أبى كان يائسا من عودة وليد، كان يائسا من تقويمى، لكنه كان يؤمن بأن كلينا رجلان مسئولان عن قراراتهما وسير حياتهما، لذا فقد ارتضى غياب وليد، ارتضى حالى، وارتضى الابتعاد عنا و إلتزام الصحراء، ليعيش كل منا فى شأنه ... أما وليد فهو لن يرفض مكالمات أبى و زياراته طالما لم أكن أنا طرفا، فوليد كما

فهمت قاطعنى لشخصى، قاطع البيت بسببى، لكنه و على الأقل لا يجرؤ على مقاطعة أبيه .

أنا لا أعادى أحدا، لا أتعارك مع أى شخص إلا إذا بدأ هو بالعراك، ففرد الأولتراس الحقيقى يتحلى بسمات الرجولة ولا يهاجم أحدا الا إذا هاجمه و لا يتعدى على أحد الا إذا أهان رمزا أو شعارا أو فردا من أفراد المجموعة أو النادى، فنحن نحترم معتقداتنا و مقدساتنا التى تحتم علينا عدم إهانه الآخر أو السخرية من لونه أو عقيدته، لذلك نتسم دوما بصفات الرجولة التى تحتم علينا عدم التكالب على فرد من مجموعات الخصم لمجرد أنه يمشى وحده .. فنحن نهاجم فقط من يتعدى علينا و نظهر أنيابنا الحقيقية فقط فى مواقف الرجال ... السطور السابقة يعرفها كل فرد أولترا زملكوى، من خلال المقال الأشهر للمجموعة والذى يحمل عنوان "ثقافة وعقلية الوايت نايتس"، وهو المقال الذى أحفظه عن ظهر قلب، فهو كالدستور الذى أسير مهتديا به مستندا عليه، و لهذا فقد كنت أثق حين أمسكت بطرف قميص الزمالك لأمسح به نقاط الدم الغزيرة التى تناثرت على ساعدى ورأسى بأنى وزملائى الزملكوية الذين شاركونى معركة الديربى لم نكن مخطئين فى تلك المعركة، وأن الأهلوية هم من بدأوا بالاعتداء، لأننا لا نبدأ بالعراك أبدا، و لهذا كنت مطمئنا إلى حد بعيد إلى أن العواقب لن تزيد عن محضر تشاجر عادى و سنخرج بعده جميعا أهلوية و زملكوية

إلى العالم البائس، لنواجه مصائرنا فى أمور حياتية أخرى ... حاولت مرارا أثناء توجه البوكس بنا إلى القسم مهاتفة وليد، لكن هاتفه المحمول كان غير متاح لسبب مجهول، ولدى وصولنا إلى القسم كان الجميع يعلم أن الأمر لا يزيد عن إحتكاك عادى بين مجموعة من الشباب وسينتهى سريعا كما بدأ .

ومنعا لأية احتكاكات جديدة فقد فصلوا الأهلوية عن الزملكوية وجلست مع مجموعة من إخوانى الزملكوية فى غرفة منفصلة بالقسم، وهو ما خفف الوطأة قليلا عنى حيث اعتبرت أننى فى بنسيون أو أننى سأقضى ليلتى عند صديق فقير الحال ...كان دخولنا هذا المكان أمرا طبيعيا ومنطقيا للغاية حتى يستدعينا الضابط ليعرف من كل منا ماذا حدث بالتفصيل ... كانت الغرفة رحبة (تسع مائة على الأقل من البشر)، وبالتالى كانت واسعة بالفعل، يعيبها أن لا شبابيك لها فكانت خانقة قليلا، بابها الخشبى الوحيد قد يغرى أى شخص بالتفكير فى الهروب، لكننا لم نجسر على فعلها إطلاقا .. تحدثت مع الرفاق عن بساطة الموقف، خاصة أن الموضوع يمكن إنهاؤه بمكالمة هاتفية، أو محضر صلح، وكلاهما أمران بسيطان لا يستدعيان أكثر من ضامن يأتى ليأخذك من هنا ... ولتخفيف حدة الموقف ذكرتهم بالمباراة وما حدث فيها، و كيف أن أحمد غانم سلطان الظهير الأيمن فى فريقنا أضاع المباراة منا بسبب عدم تركيزه، و تحاورنا لدقائق،

ثم غنينا بصوت خفيض بعضا من أغانى الأولتراس فى المدرجات ... وقال أحد رفقاء الحجز إن أكثر الأغانى ملائمة لحالنا هى (انصر يا رب الأبطال) وهى أنشودة جميلة وشهيرة لنا ... حوارنا معا كان يهدئ من روعى – وروعنا جميعا – فعلا، إلا أن المشكلة التى لا يمكننى نسيانها هى أننى لا أستطيع العثور على أى من معارفى و بالتالى قد لا أخرج من هنا الليلة ... كان الوضع مستقرا للغاية، و الأجواء هادئة، وكان الكل فى إنتظار دوره، إلى أن دخل علينا مخبر حاد النظرات، تفحصنا جيدا، وبما أننى كنت الأقرب للباب فقد إقترب منى ثم أمسك بى من قفاى وسحبنى كالبهائم إلى الخارج، عرفت من خلال حروفه التى تخرج من فمه أننى كنت أول زملكوى على القائمة، حاولت التملص منه لكنه كان قويا بحق، حاولت أن أنفعل وأثور عليه لكنه كان يخرسنى بضرباته الموجعة وصوته الجهورى، كان يسب كرة القدم والزمالك و الأهلى وحسام حسن و كل شىء معلنا أن الوردية مش ناقصة أرف، تمزق قميصى تماما، رمانى كما ترمى أنت قمامتك بلا اهتمام لأستقر على حائط تعلوه لافتة تقول إن خلف هذا الحائط يجلس (معاون مباحث القسم) .. انتظرت أمام الغرفة قليلا لأجد شابا أهلاويا يتم ركله إلى خارج الغرفة مشفوعا بجملة رنانة من المخبر الذى ركله من الداخل إلى الخارج :

- مشوفش سحنتك هنا تانى يا روح أمك .

وهكذا، خرج الشاب الأحمر إلى الحرية، ثم جذبنى المخبر الخاص بى مرة أخرى ليدخلنى إلى السيد معاون المباحث، ويبدأ التحقيق .

ثالث ربع ساعة

« كــارت أحمــر »

شلوت من الخلف طال الخصيتين .

كانت تلك هى الطريقة التى أدخلنى بها السيد المخبر إلى مكتب الباشا الضابط، و كان هذا مؤلما بحق، مفاجئا بحق، قويا بحق، حتى أننى طرت للأمام ما يقرب من مترين لأرتمى أسفل المكتب الوحيد بالغرفة، وترتطم رأسى بحافته، و يتسبب ذلك فى جرح جديد، قمت مسرعا، ململما شتات نفسى، و استدرت لأواجه الأخ المخبر الذى فعل بى ذلك مرتسمة على وجهى آيات شيطانية لعينة لو رآها أعتى العفاريت لفر هاربا .. لكن المخبر العتيد المتمرس المتمكن لم يطرف له جفن، وقف ثابتا فى تحد واضح لشخصى، سببته بالأم، سائلا إياه عن السبب الذى يدفعه لمعاملة الناس بهذه الطريقة .... كانت (الأنا) فى أوج توهجها لدى، فأنا شخص حاصل على مؤهل جامعى، أعمل فى مكان راقى و محترم، إبن لمهندس بترول، و أخ لضابط شرطة، لكنه لم يعطنى فرصة لذكر تلك المعلومات ويبدو أننى لما سببته بأمه قد أثرت حفيظته بشدة، فهجم على ضاربا إياى بعنف شديد ... بادلته الضرب وسط تأوهى، و تدخل الضابط بعد ثوان بصيحة أعتقد أنها أوقفت المرور فى الشارع أسفل القسم، متسائلا :

ـ إنت هتمد إيدك عليه أدامى يا .... أمك ؟ ! .

كان السؤال والسباب موجهين لى بالطبع، فرددت عليه بكل حزم :

- لما يتعامل مع الناس كدة.. يبقى أضربه بالجزمة .

كور المخبر يده فى لحظة وضربنى بها أسفل ذقنى .. ضربة قوية تحمل الكثير من الغل، ليرتطم فكى السفلى بالعلوى، عاصرين بينهما لسانى الذى بدأ ينزف بعد هذه الضربة، ضربة موجعة للغاية أسالت دموعى رغما عنى، مشفوعة بألفاظ أكثر إيلاما فى حق أهلى قالها كلاهما، لكننى لم أقو على الرد فقد وقفت مكانى من الألم ... بادرنى الضابط بأنه قد يضيع مستقبلى فورا لو كتب فى شخصى المتواضع محضرا رسميا بالإعتداء على موظف أثناء تأدية وظيفته .... تركت الضابط الشاب يتحدث و يتحدث، وسرحت بخيالى عن هذا الموظف الذى يعمل فى قسم مدينة نصر، هذا المخبر القاسى، الذى قد يكون من سكان العمرانية أو إمبابة أو أى حى شعبى آخر، و قد يكون من سكان إحدى القرى المتاخمة لمحافظة القاهرة مثلا .... تبدو على ملامح وجهه أنه من مثل تلك المناطق و التى تحتم ظروفها المادية على أهلها أن يحيوا بطريقة صعبة ... كان هذا الجلاد رفيعا كعود القصب، له شارب رفيع يعلو شفتين يقفزان خارج حدود وجهه ليعطيانك إحساسا أنك تواجه شخصا شرها، يرتدى قميصاً واسعاً مفتوح الصدر كحلى اللون، و بنطلوناً قماشياً بنى اللون، وينتعل حذاء جلدى أسود شديد النحافة من الأمام ... له

دبلة فى خنصر يده اليمنى، ودبلة شبيهة غارقة فى دمى تلتف حول بنصر يده اليسرى.. يقف لاهثا واضعا يديه حول خاصرته، يغرق العرق بشرته الخمرية التى لفحتها الشمس، ينتظر مثلى تماما انتهاء الضابط من حديثه، ليشعر بلذة الانتصار على أمثالى من المتعلمين المتعالين

كان الضابط ثرثارا بحق ... وقف على مكتبه واضعا كفيه على حافته مستندا عليهما، ليعطينى درسا فى معاملة رجال الشرطة ... وهو كلام لا أعبأ به مطلقا فى الحقيقة، كلام جعلنى أمل و أكمل دائرة شرودى فى جلادى ... أرى هذا الجلاد بوضوح الآن، يخرج من بيته مقبلا زوجته، قائلا لها (كلمتين حلوين)، محتضنا أطفاله و مداعبا إياهم، و قد يكون حريصا على أداء صلاته قبل النزول مباشرة، لكى يبارك الله له فى طريقه، يمشى جادا فوق أكوام القمامة و لترات المياه الآسنة حتى يصل إلى الشارع الرئيسى، يسلم على هذا و ذاك، يسب أحدهم بأمه، و قد يسب لإحداهن الدين، يتهم البعض بالشذوذ، يعاكس فتاة ترتدى عباءة سوداء يلهب خياله ما قد يكون تحتها من مفاتن، يجدُّ فى سيره متجها إلى موقف الميكروباصات المتراصة خلف بعضها البعض لتسد قدرا ليس باليسير من الشارع .. تلك العربات التى تحمل ماركة موحدة و هى إلترامكو و التى ينطقها الجميع (راما)، يركب بجوار السائق أو خلفه، قد يدفع الأجرة وقد لا يدفع اعتمادا على كارنيه وزارة الداخلية وسطوة

رجالها وهيبتهم فى الشوارع، والتى تجيز أيضا لأى فرد منهم الوقوف على جانب أى طريق والإشارة لأى مركبة من ذوات الأربع عجلات سواء كانت ملاكى أو أجرة، لكى يقضى بجوار سائقها رحلة قصيرة أو طويلة على طريقة الأوتوستوب.... يبدل صاحبنا ثلاث مواصلات على الأقل، حتى يصل إلى مقر عمله فى القسم ... ولأنه رجل مؤمن يؤدى فرائض الله بانتظام، فهو يؤدى عمله الذى يتطلب منه إيذاء خلق الله فى كرامتهم و إهانتهم باستمرار على أكمل وجه ... أى عمل هذا الذى يسمح لإنسان أيا من يكون بإهانة أخيه الإنسان على هذا النحو ؟ .. أى عمل هذا الذى يترك شخص ما بيته و أسرته ليسحل ويسب ويضرب خلق الله فيه ؟ أى وظيفة تلك ؟.. وأى لعنة قد تحل علينا لو كثر أمثال هذا الشىء الذى يقف خلفى الآن منتظرا إشارة من الظابط لكى يصفعنى على قفاى على طريقة الفنان محمد صبحى فى فيلم الشيطانة التى أحبتنى ؟.

رأسى تنزف من أعلى من جراء المعركة، و جبهتى تنزف من جراء الارتطام بالمكتب، و أكاد أقطع ساعدى بسبب الألم الذى يسببه لى، بعد الضربة التى أخذها فى المعركة، و أشعر أن لسانى قد قطع فعلا بعد اعتصاره بين فكيَّ ... و عقلى يفكر و يفكر فى سبب وجودى فى هذا المكان ... مستمعا لهذا الشخص الذى يقاربنى عمريا ويتعامل معى على أننى سفاح النساء .. ويؤكد لى مع كل

حرف يخرج من فمه و كل إشارة من جسمه أننى سأرى الويل .. سأتمنى لو لم أولد !! .

طلب منى إفراغ جيوبى وإخراج بطاقتى ... فعلت .. لم يكن معى شىء بإستثناء علبة سجائر مهشمة، وبضع عشرات من الجنيهات أحملها فى جيبى الخلفى، ومحفظنى التى كانت جديدة من أيام لا تحتوى سوى على البطاقة و إثبات الشخصية فى العمل و كارت فيزا أتلقى مرتبى من خلاله كل شهر، أخذ الضابط بطاقتى، قرأ محتوياتها بلا عناية .. ثم بدأ فى ترديد كلمات سخيفة لا معنى لها عن أننى أبدو ابن ناس، فلماذا أهين نفسى مثل هذه الإهانات ... حقيقة الأمر أننى كنت أرد عليه الكلمة بالكلمة، عرف أن أبى مهندس بترول بشركة محترمة، وأننى أعمل فى فودافون – وهى شركة محترمة قطعا ككل شركات الاتصالات - والأهم أنه عرف أن أخى الأكبر يعمل ضابط شرطة .... سأل عن وليد، و أين يعمل، ووضح على قسماته أنه بدأ فى الهدوء لما عرف أن أخى ضابط مثله، صحيح أنهما لايعرفان بعضهما البعض، وصحيح أننى قد أكون كاذبا بهذا الشأن، لكننى أعتقد أن الثقة البادية فى حروفى جعلته يصدقنى، جلس على مكتبه مرة أخرى و بدأ فى ممارسة عمله بصورة طبيعية، فسألنى عن المعركة، فشرحت له ما حدث تفصيليا... بداية من خروجى من الإستاد مهموما فى طريقى إلى السيارة وإنتهاء بركوبى البوكس الأزرق

اللامع.. مرورا بالسباب الجماعى الذى استقبلناه كزملكوية وشرح وافٍ للمعركة بتفاصيلها، فاجأنى الضابط الشاب حين قال إن الأهلوية ذكروا ذات الرواية لكن مع عكس الأدوار .. أى أنهم قالوا أن الزملكوية هم من بدأوا بالتشاجر ... فرددت عليه بعصبية من جراء الألم و الانفعال :

- كدابين وولاد ... زى التور اللى ورايا دة .

هاج الضابط ... اتهمنى بالغباء و الإصرار على إختلاق المشاكل، ثم أمر محمود – هذا كان اسم جلادى - بإشارة من يده، أن يصفعنى مرة أخرى على قفاى .... فعلها هذا المحمود ... ضربته بالقلم... فهاج وانفعل بشكل هستيرى، سحبنى إلى خارج الغرفة بعد أن استأذن الباشا بصوت عال لأنه يرغب فى تربيتى، كان آخر ما رأيته فى الغرفة هو الضابط الشاب وهو يضع بطاقتى فى جيبه ويغلق الباب فى وجهنا جميعا، خرجت مدفوعا، مهانا إلى طرقة ضيقة، و تكاتف معه إثنان من زملائه امناء الشرطة، كل منهم كان يضرب بعنف، بقسوة، بحماس شديد، صرخت صرخات متتالية مدوية بسبب الألم و الشعور بالإهانة، كنا فى الدور الثانى من القسم، لكن هذا لم يمنع خروج بعض الضباط و المواطنين من أماكنهم وصعود بعضهم من أسفل لاستكشاف ما يجرى، كانوا يحاولون سحبى إلى الغرفة التى كنت فيها منذ دقائق، لكننى و لسبب مجهول كنت أقاوم بشدة، كنت أحاول

البقاء بجوار مكتب الضابط، كانوا يضربوننى بقسوة، زادت لما علموا بسبى لزميلهم، تذكرت معاركى المختلفة و حاولت التماسك و القيام من جديد، لكنهم لم يسمحوا لى بذلك، كنت أتألم، أصرخ، أركلهم جميعا، و لكن بلا جدوى ..ولمحت فى نظرة خاطفة قميص الزمالك الذى أرتديه و قد تحولت مساحة كبيرة منه إلى اللون الأحمر، و أثناء ضربى و سحلى سرحت بخيالى و قد شارفت على فقدان وعيى، محدثا نفسى !

- حتى التيشرت بقى أحمر ... كده حرام و الله .

ارتطمت بالحائط مرات و مرات، نزفت من مواقع عديدة من جسدى ... تمنيت لو أن لسانى صمت فى تلك اللحظة التى سببت فيها محمود أمام الضابط... لكن (الأنا) ذكَّرتنى بمن أكون من جديد .. لعنتها وأخرستها .... زحفت على الأرض محاولا الهرب .. ليلحقوا بى و يمسك ثلاثتهم بى من أقدامى و يسحلونى مرة أخرى، نجوت من السحل بأعجوبة ما، وقمت جريا لأفتح مكتب الضابط مرة أخرى مستنجدا به ... رميت بنفسى على مكتبه و أنا أنزف من وجهى بغزارة سائلا يختلط فيه الدم والدمع واللعاب، فامتعض الضابط بشدة ونهرنى، خلفى جاء محمود ورفاقه الأمناء، محاولين سحبى مرة أخرى، أمسكت بطرف المكتب وأوقعت بعض الأوراق و ريموت التلفزيون الذى كان يعرض وقتها فيلما قديما يدعى (المدبح) ... وأثناء جرهم لى، جريت بعينى بسرعة على

المكتب، فوجدت شيئا ما قد ينقذنى من بين أنيابهم، شيئا كان بمثابة الشمعة التى قد تفتح لى طريقا للخروج من هنا .... لقد رأيت على المكتب مطفأة سجائر الباشا الملقاة على مكتبه، أمسكت بها بقوة فأسقطت على جروحى وما تبقى من ملابسى بعضا من محتوياتها القذرة، كنت متشبثا بها كمن يتشبث بولده قبل أن يدهسه قطار، هددتهم بها، فلم يرتدعوا، و حدث كل شىء فى ثوان معدودة، درت نصف دورة بجسدى وضربت بها أحد الأمناء فى فكه ليتهشم، و ضربت بها وجه محمود مرات متتالية بقوة وبعنف، كانت مطفأة على شكل قوقعة .. متوسطة الحجم، مدببة الأطراف، طالت أجزاء منها عين محمود اليسرى ففقأتها، ليفقد البصر بعد أن فقد البصيرة، ... لن أنسى صرخاته النابعة من ألمه قط، أرى وجهه ينزف ... رأيت ما تبقى من عينه فكدت أفقد الوعى، كدت أنهار بسبب ما حدث له، فأنا و رغم خوضى عشرات المعارك إلا أن (العاهات المستديمة) لم تكن ضمن قائمة الإيذاء الذى أسببه لمن يتعارك معى، ويبدو أن انفلات أعصابى كان أكثر من اللازم، أكثر من المطلوب، فحدث ما حدث، ومع ذلك لم تمنعنى تصفية عينه اليسرى، لم توقف التدفق، فتابعت فى ضربه بعنف، كنت غائبا عن الوعى تقريبا، أحاول بضربه أن أسترد كرامتى التى مزقها هذا الغبى، أحسست بجمجمته تتهشم تحت وطأة ضرباتى المتتالية... وتختلط كل التفاصيل،

سقوطه على الأرض، صراخه، صراخى، دماء كلينا، ضربات تأتينى من كل مكان، دوران محمود فى المكان كالثور الهائج، شتائم تأتى من كل مكان، جمهور غفير من البشر يتابعون، طلقات رصاص هنا وهناك، أمى تحتضننى أمام بيت الفيل، وتقرأ علىَّ أجزاء من منهج فلسفة الجمال، وجه ناصر فى المدرجات وعباءته البيضاء الناصعة، تشجيعه موجه لى هذه المرة، خيالات عن أخته التى إختطفها الجنجاويد، شيماء عارية تحتى لأمتعها وأستمتع، حازم إمام يدخل بوابة النادى ويهرول نحوى ليوقع على قميصى و يشجعنى و يشد من أزرى، مهدى يقف أمامى منحنيا كعادته يرص حجر معسل ، ويضع البيبسى على رأسى ليبردها ويوقف سيل الدم ، محمود مشاغب يقف فى الكورفا سود كعادته محرضا جماهير الزمالك العظيمة على الهتاف باسمى، ويأمرنى ألا أستسلم، محمود يتلوى ألما، دارت رأسى، ودار المكان من حولى، أرى عددا جديدا من مجلة الزمالك كنت أنا على غلافه، شقة نيركو التى أريد فى مدخلها سجادة على شكل كرة قدم، ألو ... فودافون، أغانى عزيز الشافعى تتردد فى رأسى، حسام حسن يشير إلىَّ بعلامة النصر، الأولتراس يقفون صفا واحدا أمامى لتحفيزى، كارت أحمر يشهره حكم فى وجهى ليطردنى، فيصفعه أبى على خده، ويشهر وليد سلاحه فى وجهه، صفعة جديدة أتلقاها، عشرات الأيدى تحمل محمود خارج

الغرفة، ومثيلتها تضربنى، أجلس وحيدا فى مدرجات ملعب حلمى زامورا، أنزف المزيد والمزيد من الدماء، ويغرق قميص الزمالك الممزق فى اللون الأحمر القانى .. لون الدم، وأفيق لأجد كل شىء قد انتهى .

كان هذا منذ أسبوعين تقريبا، وجدت نفسى بعدها مقيدا بكلابشات حديدية، راقدا على سرير صدئ، داخل مستشفى حكومى عفن، استغرقت الكثير من الوقت لأستوعب هذا الموقف فى البداية، ثم استوعبته جيداً عندما تم التحقيق معى لما يقرب من الساعتين، كان وكيل النيابة شابا واعيا ومتفهما، لكنه كان يؤدى عمله، كان متفهما لموقفى، لكنه و كالعادة لم يستطع أن يعطينى مبررا لارتكاب الجريمة، و الحقيقة أن هناك لائحة طويلة من التُهم كانت بانتظارى، وهو ما زاد من حيرتى وتوترى أثناء التحقيق، لكننى كنت حريصاً أشد الحرص على قول الحقيقة كاملة، بلا رتوش، بلا زيادة أو نُقصان.

ورغم مرور أسبوعين على الواقعة إلا أن عظام جسدى مازالت تئن، ورأسى ما زال يؤلمنى... عرفت من وكيل النيابة أننى أُصبت بارتجاج فى المخ، الحقيقة أننى كنت خائفا للغاية فى أول الأمر، لكننى قررت بعد ساعات أن أُسلم أمرى لله، فقد قدر الله وما شاء فعل ... بعد انتهاء التحقيق بدقائق رأيت أبى يلهث وهو يسير بين جنبات العنبر الذى أرقد به بلا حراك، كان متلهفا علىَّ بحق، كان يستند على وليد الذى كان ينظر إلى لأول مرة

بشفقة لم أعهدها تكسو ملامح وجهه من قبل، لم أقو على مناداتهما، لكنهما وجدانى بسهولة بين زحام المرضى ... رأيت أبى يجلس على ركبتيه ذات الجلسة التى جلسها لما أحرز مجدى عبد الغنى هدف مصر فى كأس العالم 1990، لكنه يجلسها الآن بعد عشرين عاماً بداع من الحسرة والألم، لا من الفرحة والفخر، احتضننى كلاهما ... وبكيت فى أحضانهما من المرارة و الخوف ... ارتعشت لما لمست خدى تلك النجوم الذهبية على كتف وليد، وخفت على مستقبله المهنى الذى قد يضيع بسبب رعونتى .. لكننى تناسيت ذلك بعد نظرات الاطمئنان التى نظرها لى وليد، التفت إلى أبى لأجد عينيه غارقتين فى الدموع، تسائل أبى كثيرا عن الأسباب التى دفعتنى إلى ذلك، واحترت بمَ أجيبه !! هل أقول له أننى تعرضت لإهانة وإستفزاز فوق طاقتى بين طرقات القسم ؟ هل أقول له إننى لن أقبل إهانتى، لن أقبل إهانته، لن أقبل إهانة أمى ؟ وماذا لو سألنى عن سبب دخولى المعركة ؟ هل أقول له إن إيمانى بأمى – رحمها الله - يمنعنى من سماع أى لفظ خارج فى حقها و أننى بالفعل لم أحتمل كل هذا السباب؟ هل أخبره أن سب حسام حسن يعنى لى أن هؤلاء الرعاع قد سبوك يا أبى ؟ هل أقول له إننى حاولت بما حدث أن أدافع عن كرامة الزمالك ؟ هل أقول له إننى شعرت أننى أحبه للغاية ؟ وأننى – و لأول مرة – أثناء

ضربى فى القسم شعرت بأننى أذوب فى شيماء عشقا ؟ هل أقول له إننى لم أفعل شيئا؟ .

سألنى أبى عشرات الأسئلة، كان جسدى يئن، و عقلى واهن، فلم أستطع إجابة معظمها، اقترب منى وليد بهدوء وطمأننى بأنه عيَّن لى محاميا من أصدقائه و أن القضية بسيطة، و أننى سأخرج من هذا المستشفى قريبا، فلم أعرف بم أجيبه... قلت له إن الكلابشات تعذبنى، فقال إنه لا يقدر عمل شىء و أن علىَّ أن أتحمل هذا الوضع المؤقت .. بكى أبى وقت أن كان لسانه يلهج بسؤال وحيد:

- ليه كده يا مصطفى ؟ ... ليه كدة يا مصطفى ؟

وارتمى أبى فى أحضانى وهو يبكى، كان على حافة الانهيار وهو يقبلنى، و أفقد أنا قدرتى على التماسك رويدا رويدا... كان صعبا على بحق أن يفقد أبى أعصابه بتلك الطريقة فى هذا المستشفى القذر، و الأدهى أنه بسببى... انهمرت الدموع من عينىَّ لما رأيتهما يخرجان من العنبر، رأيت أبى يستند إلى الحائط، و وليد يتحدث مع الجندى الواقف على الباب، ويبدو أنه يوصيه علىَّ .... كانا يزورننى يوميا، يسألاننى عم أريد، و أنا لم أكن فى حاجة لأى شىء سوى حضن أمى، و سريرى .. كنت أريد حياتى .

التشاجر، التعدى على موظف أثناء تأدية عمله، مقاومة السلطات، ضرب أفضى إلى موت، كانت تلك هى قائمة التهم الموجهة إلى والتى استوجبت مبدئيا حبسى أربعة أيام على ذمة التحقيق، قضيتهما فى المستشفى، ثم تم نقلى محبوسا إلى سجن الاستئناف بعد تجديد الحبس مرة ثانية ، ارتديت البدلة البيضاء إياها ليوم واحد حتى جاءنى وليد فى اليوم التالى ببنطلون وتيشرت أبيضان حتى لا أرتدى ملابس السجن الخشنة القذرة، (الأنا) كانت تتعذب من جديد، ها هو ابن المعادى يرقد صندوق قمامة بلا قيمة على ذلك السرير العفن، هاهو الموظف المتمرس فى فودافون على شفا خسارة تلك الوظيفة بسبب مشاجرة جديدة تضاف إلى سجل مشاجراته، ها هى كل الأحلام والطموحات التى كنت أعيشها قبل أيام قد تمزقت تماما .. ها هى آلامى تزيد من جديد، فأفقد نفسى مرة أخرى بعد أن وجدتها مع الأولتراس، كنت أفتقد الكورفا سود كثيرا، كنت أفتقد أبى، شيماء، و هشام ... كنت أفتقد ناصر بشدة، كنت أفتقد وليد .

كان طبيعيا أن يتم نقلى من المستشفى إلى سجن الاستئناف حتى تظهر نتيجة المحاكمة... كان موقفا صعبا للغاية لا يمكننى وصفه، لكن وإحقاقا للحق كان جميع من فى السجن من أمناء وضباط وحراس يعاملوننى بشكل جيد، فقد كانوا متفهمين للموقف بشدة، فالموضوع يمكن استيعابه على أنه قتل خطأ، وكل منهم يعلم جيدا ماذا

يمكن أن يفعله أمين شرطة بأى شخص أمامه ... و يبدو أيضا أن وليد قد قام بالتوصية على مجددا، حتى أن هناك ضابطا برتبة كبيرة جلس ليستمع إلىَّ بحماس ... قال لى إنه بمثابة والدى فقد خدم معه وليد فور تخرجه، كان يتحدث عن وليد بحب حقيقى، و قال إنه واثق بأننى تعرضت لضغط عصبى غير طبيعى أوصلنى لتلك الحالة وتلك النتيجة.... طلب أن أحكى له الواقعة، فحكيتها بصدق كما حكيتها لك الآن، فحاول الرجل مشكورا أن يطمئننى و يقلل من هول المأساة ... حتى انه اعترف لى بزملكويته و سأل عن ماهية الأولتراس، وطبيعة فكرهم، ولا أخفيك سرا يا سيدى أننى قضيت ليلتى الأولى فى السجن بصعوبة بالغة و لم يهون علىَ فيها أى شىء حتى تذكر أمى و الدعاء لها .... ابتهلت إلى الله كثيرا أن يخرجنى مما أنا فيه ... حاولت التماسك فيما تلا ذلك من أيام، و كان يوم زيارتى الأولى هو أصعب الأيام، زارنى أبى يومها، كنت أراه لأول مرة فى تلك الصورة، ملابسه غير متناسقة، ذقنه غير حليقة، زائغ النظرات، إطمأن على و دعا لى كثيرا جدا .... ثم زارنى هشام، حاملا لى تحيات ودعوات شيماء وناصر و عدد لا بأس به من الجيران و من مجموعة الوايت نايتس، وشرح لى صعوبة موقفهم جميعا وأن لكل منهم سبب قهرى يمنعه من الزيارة، كنت متفهما، لكننى متألما... شكرت هشام للغاية، حملته الكثير من التحيات لكل من سأل علىَّ...

كنت أحمله التحيات وأنا أتذكر لكل شخص منهم موقف معين معى .... كنت أفتقدهم جميعا للغاية، كنت أفتقد حياتى خارج تلك الأسوار، كما أننى كنت قلقا على أيامى بعد خروجى من هنا إن خرجت .

وفى موعد زيارتى التالية لم يأتنى أحد، و فى مساء هذا اليوم جاءنى الضابط ذو الرتبة الكبيرة ليخبرنى بأنه (البقاء لله)، فهمت أن لدى حالة وفاة لكننى لم أعرف من، و للحظات، صمت الضابط، و سرحت أنا بأفكارى فيمن قد أكون فقدت ؟ .... عرفت أن الخبر جاءه من زملاء وليد بالأمس، عرفت أن أبانا توفى بعد أن ارتفع ضغطه فجأة و هو جالس فى المنزل مع وليد ليصاب بنزيف فى المخ ... وينتهى كل شىء ... ليلحق بأمى، عرفت أن وليد يقف الآن ليستقبل العزاء فى أبينا، سألت الضابط عن ملابسات إرتفاع الضغط للدرجة التى قتلته ؟، و عرفت منه أن المحامى قد ذكر لأبى أن العقوبة قد تصل إلى 10 سنوات أو يزيد، حاول أن يناقشه فى كافة التفاصيل القانونية، فلم يجدا حلا... ذهب بنفسه مع وليد إلى أهل محمود، المخبر القتيل، فى محاولة لإجراء الصلح مقابل دية مالية، فلم يُجد هذا معهم نفعا ... كنت أنا محبوسا لمدة 45 يوما، وهو يترك شئونه كلها ليحاول إخراجى من محبسى وإنقاذ ما تبقى لى من مستقبل .. عرفت أن أبى يحبنى بجنون، عرفت من الضابط أن معه رسالة شفهية من وليد يخبرنى فيها أنه لا يلومنى على

أى شىء و أنه استسلم لقضاء الله.... جاءنى وليد فى اليوم التالى ...عرف أننى عرفت الخبر، ارتميت فى أحضانه باكيا معتذرا ... لكنه كان صامتا كالقبور ... ليته هاج ... ليته انفعل ... ليته ثار ... فقط احتضننى بقوة و طلب منى التماسك و قال لى انه سيستمر فى محاولات إجراء الصلح مع أسرة محمود ... أوصى علىَّ فى السجن مرة أخرى ... وتركنى لنفسى لتذكرنى بما فعلته، لتعنفنى و تقطعنى إربا .... وإختفى .

أجلس أنا الآن ... داخل سجن الاستئناف فى انتظار جلسة جديدة من المحاكمة، و فى انتظار يوم الزيارة التالى، اليوم الذى سيأتينى فيه وليد، ليؤنس وحدتى، ليعاملنى كما كنت أود أن يعاملنى يوما ما كأخى الأكبر ... كرفيق الدرب، كناصح، كمحتضن، أصبحت زيارة وليد هى الشىء الوحيد الذى يشعرنى بالأمل حاليا، أثق تماما بقدرات وليد على إنهاء الخصومة بينى وبين أهل محمود، لكنه قال بأن مثل تلك الأمور تأخذ وقتا، حتى يستطيع أهله نسيان الجرح الذى سببته لهم .... وفوق كل هذا أثق فى ربى، و أعلم أن عقابه يكون دوما على قدر الفعل ... أوقن أن ربى يعلم أننى لست بقاتل، أننى فقط كنت أُدافع عن نفسى ... كنت أنتظر الزيارة التى سيحمل لى فيها وليد عددا من الجرائد أقتل بها وقتى، ومنذ ما يقرب من خمسة أيام قابلت الضابط صديقى إياه فى السجن بالصدفة أثناء وقت الفسحة، وطلبت منه

مجموعة من الأوراق وقلما لأكتب بهم شيئا أقتل به وقتى .. وافق الرجل و بترحاب شديد، قال أنها طريقة ممتازة لقضاء الوقت حتى أخرج للحرية مرة أخرى، و قال لى إن الأمر لن يطول – بإذن الله – عن أيام قليلة .

وهكذا، أكتب الآن أوراقى تلك، لأعلنك يا سيدى أننى مصطفى أحمد سعد الدين ... شاب مصرى... زملكوى الجنسية ... أحب أمى ليلى محمد يونس... وأنفذ وصيتها بحب العالم وإفناء نفسى مع كل من وما أحب ... فأحب أبى أحمد سعد الدين أحمد رحمه الله و أقدره أيما تقدير وأدعو له بالرحمة و المغفرة وأطلب منه أن يسامحنى مع كل صلاة ... وأحب أخى وليد أحمد سعد الدين، وأطلب منه أن يتفهمنى ويظل محتويا إياى مهما طال الزمن ... وأعشق صديقتى شيماء مجدى عبد المنعم التى ظلمتها كثيرا بغرورى و عليائى ... وأُعلمك يا سيدى أننى مازلت أذوب حبا فى الزمالك ككيان بكل رموزه و نجومه ... فانا يا سيدى، شاب أعشق تلك الموجات الكهرومغناطيسية التى تتولد من حركة الكرة ... أؤمن بفريقى، وأدافع عنه فى أى مكان و زمان ... أتلوى ألما حال الخسارة، و يُخلق لى جناحان أطير بهما سعيدا حال الفوز ... وأقبع الآن فى هذا المكان المنعزل الكئيب غير نادم على شىء .. قد أكون مصدوما .. قد أكون مذهولا ... لكننى دافعت عن الجميع فلن أندم أبدا ... ولن أتراجع ... أكتب لك الآن لأعلنك يا سيدى بأننى فخور للغاية بكونى واحدا من

القوام الفعلى لمجموعة (أولتراس وايت نايتس) والتى استطاعت فى سنوات ثلاث أن تجعل للزمالك طعما ولونا فى المدرجات، ساهمت بجهودها فى نقل الزمالك ومشجعيه من خانة الأقليات المقهورة إلى خانة العظماء ... كنا قبل الأولتراس أقل عددا ... أقل تأثيرا ... نقتات على الفتات الإعلامى ولا يلتفت لنا السادة الحمر، رغم انزعاجهم وخشيتهم الكبيرة منا .. كانوا يحاولون تناسينا بفرض أننا سنأكل أنفسنا، كانوا يعاملوننا نحن الزملكوية على أننا لسنا هنا ... لسنا على الساحة .. غير مطروحين للنقاش ... نحن الزملكوية عبء ثقيل تحمله الملاعب والإستادات، لكننا كأولتراس آمنا بأنه لن يقدر على حملنا سوى إيماننا بما نصدق ونقول .... فرد الأولتراس الآن يملك أن يقول لا بكل الحزم، كنا فى السابق لا نملك سوى الصمت، وبعد ثلاث سنوات فقط أصبح لنا ألف صوت .

جاءت مجموعة الأولتراس وايت نايتس لتفعلها ... تتكاتف .. تتفاعل .. تنفعل ... تجيِّش الجيوش للدفاع عما تبقى من الكرامة المهدرة، كما تحاول أى مجموعة وطنية فاعلة أن تعيد كرامة هذا الوطن الواهن أو الذى أصبح واهناً، و تحاول ببطء و ثبات صناعة مجد جديد لهذا الكيان العريق وكتابة السطور الأولى فى كتاب زملكوى جديد يأتى بعد مائة عام من تأسيسه ... فطوبى لهم جميعا .

نعم، لقد قتلت محمود منصور محمود، لكنه كان قتلا بسبب الدفاع عن النفس، صدقنى، وصدقنى أيضا فى أنه كان يستحق القتل لعجرفته وتعاليه على إخوانه من البشر، نعم ضربت مجموعة من الأهلوية، لكنهم يستحقون، لأنهم من بدأ بالشجار، و أنا لا أخرج أنيابى إلا لمن يستفز رجولتى، إلا لمن يستفز زملكويتى ... نعم ارتكبت الكثير والكثير من الأخطاء فى حياتى، لكننى أُعاقب عليها الآن .. وفى النهاية أود أن أقول لك يا سيدى سأظل فرد أولتراس وفياً ، مخلصاً للمجموعة وأفكارها وقوانينها، طوال فترة وجودى خلف القضبان، طالت تلك الفترة أو قصرت، سأمارس كل الطقوس قبل وأثناء وبعد كل مباراة وكأننى أمكث فى الكورفا سود، وسأقاتل من أجل أن أرى كل مباريات الزمالك طيلة فترة سجنى .. أود أن أعلمك أننى سأظل فرد أولتراس مؤمناً بزملكويتى طيلة حياتى .. لكى أؤكد لك و لكل رفقاء سجنى أننى لست مجرماً، و أننى .. أولتراس .

تسلم هذه الرسالة إلى النقيب / وليد أحمد سعد الدين

أخوك / مصطفى أحمد سعد الدين

سجن الإستئناف

يونيو 2010

صافرة النهاية

يجب علىَّ الإعتراف بأن ما قرأته فى تلك الرواية يعد دفاعاً عن شباب و بنات و رجال مصر، مشجعى الأهلى منهم و مشجعى الزمالك والإسماعيلى والاتحاد السكندرى والمصرى البورسعيدى وغيرها من الفرق، الذين انضموا بكامل إرادتهم لمجموعات التشجيع المبهرة والمبهجة .. (مجموعات الأولتراس) .. فقد واجهوا جميعا صعوبات عديدة فى البحث والتنقيب والتفتيش عن الأعراف والقوانين المختلفة التى تحكم عالمهم الموازى الذى عاشوا فيه، (عالم الأولترا)، وواجهوا صعوبات عديدة أيضا فى الالتزام بتلك الأعراف و القوانين المرهقة، وهى الأعراف التى تبيح لهم العراك، ولكنه عراك من أجل ما يؤمنون به، أعراف تسمح لهم بتشجيع فريقهم بكل الحب، لكنها لا تمنعهم من مهاجمته بضراوة و شراسة إذا شعروا أنه يستهين بهم وبمشاعرهم ..أعراف تبجل وتقدس الكثير والكثير من المعانى التى كدنا نفتقدها جميعاً على أرض هذا الوطن، كالانتماء، الولاء، والاحترام .

لـــذا،،،،،،

فإننى أرجو من الجميع التعقل والتفهم قبل الحكم على ممارسات مجموعات الأولتراس فى مصر و العالم، و إذا كنا جميعا نستهجن البذاءات وأعمال الشغب،

والعنف أحيانا .. فأرجو ألا نستهجن النشاط، والحماس، والعشق، والتصديق الذى يدفعهم لبعض الممارسات السلبية .

لا تطلبوا من أى شخص أن يقف هادئا حين يضرب أحدهم أمه، لا تطلبوا منه أن يستكين حين يقذف أحدهم أباه بحجر ويشج رأسه، لا تطلبوا منه الثبات حين يظلمه المدير (أى مدير) لأنه يملك السلطة، لا تطلبوا من شباب يشعرون أنهم أقلية داخل حدود وطنهم ألا يعبروا عن غضبهم، بل تأمروهم كذلك بأن يكون هذا الغضب عاقلا !!!! .

سادتـــى،،،،،

ارحموا الأولتراس (أيا كان إنتماؤهم)... احترموا قوانينهم ... هم يتوقون للاستيعاب .. هم يتوقون للإحساس بالآدمية.. هم بشر آمنوا، واجتهدوا، فتحسنت صورتهم فى شهور قليلة ... فقط تمنوا من داخلكم (كما أتمنى شخصيا) أن نصبح جميعاً، أولتراس فى حب هذا الوطن .

أشرف أبو الخير

الوقت الإضافى

سادتــى،،،

كان من المقرر أن تصدر الرواية التى بين يديكم الآن يوم التاسع والعشرين من شهر يناير عام 2011 ، أى أن تلك الصفحات كان من المفترض وجودها بالأسواق مع تدشين معرض القاهرة الدولى للكتاب فى هذا العام، والذى تم تأجيله وقتها للظروف الصعبة التى كانت تمر بها جمهورية مصر العربية آنذاك، ثم تم إلغاؤه نهائيا بعد ذلك، وهى ظروف – رغم صعوبتها – عظيمة، عاشها الوطن العربى كاملا من المحيط إلى الخليج لمدة ثمانية عشر يوما، هى مجموع أيام ثورة 25 يناير، التى قام بها الشعب المصرى بمعظم طوائفه وفئاته ضد ممارسات رفضها الكثيرون ، وقهر وظلم شديدين عاش فيهما معظمنا .

كان المصريين وقتها كالمجاذيب ، كانوا كمن ندهتهم نداهة الوطن ، يجرون خلف الأخبار فى كل قنوات الدنيا ، يتابعون الجرائد والمجلات قدر استطاعتهم ، يتجاذبون أطراف الحديث فى كل مكان ، ليبقى كل فرد فيهم على تواصل دائم ومستمر بما يدور حوله على أرض الوطن ، وهو ما أعتقد أنه كان العلامة الإيجابية الأكثر بروزا من نتائج تلك الثورة ، فالناس فى بلدى أصبحوا أخيرا يتابعون، أصبحوا أخيرا يهتمون، أصبحوا أخيرا يخافون

على حاضر البلاد ومستقبلها ، أصبحوا أخيرا يتناقشون بين مؤيد ومعارض بشئ من الهدوء ، بشئ من التفهم ، وبلا خوف

وطوال أيام الثورة وطوال الأسابيع التى تلتها ، لم يتذكر المصريين كرة القدم ، لم يفكروا فيها ، وفى صراعاتها الطائفية جداً ، مشاكلها ، صفقاتها ، حروبها ، وكان واضحا أن مشجعى كرة القدم فى مصر قرروا أن يتغيروا كما يحدث فى كل سنتيمتر فى البلاد ... فلم أسمع نقاشات حادة عن الكرة و أحداثها ، لم أرى خلافا او معركة كلامية بين أكثر مشجعو الزمالك والأهلى تعصبا وولاءا ... وكانت المفاجأة الكبرى التى أشعرتنى بضخامة الحدث وأهميته هو القرار الذى اتخذته أهم مجموعات الأولتراس فى مصر (أولتراس أهلاوى وأولتراس الفرسان البيضاء) بالمشاركة فى الثورة المصرية فرادى ومجموعات ... لما عرفت بالخبر حدثت أصدقائى فى مجموعة أولتراس الفرسان البيضاء (White knights) وسألتهم عن هذه الخطوة ... فجاءت الردود متشابهة ومبهجة وتحمل الكثير من الأمل فى الغد :

مصر أهم من الزمالك

لو مشاركناش فى الثورة .. مين هيشارك يعنى ؟ .. مش احنا شباب برضه !!!

إحنا عندنا خبرة فى التعامل مع الأمن المركزى وممكن نفيد بيها الناس العادية

الأولترا بتؤمرنا اننا نكون إيجابيين ونخدم أفكارنا ومعتقداتنا ... ومصر هى أهم فكرة فى حياتنا .

يا الله ... كل هذه المشاعر وغيرها بكل تأكيد يحملها شباب مصريون عاديون ، طلبة جامعات ، طلبة مدارس ، لاينتمون لأى إتجاهات فكرية أو سياسية .. ويقررون النزول إلى الشارع لإعلان آرائهم ، إنطلاقا من إيمانهم بأن الأولترا الأهم بالنسبة إليهم هى الأولترا المصرية .

لقد شاركت مجموعات الأولترا المصرية بقوة وحماس فى صياغة وصناعة نجاح تلك الثورة ، لم يجلسوا طوال فترة مباراة الثورة .. شجعوا مصر ودافعو عنها بحماس وبلا توقف ... لم ينضموا أثناء المباراة لأى أولترا أخرى ... تحدوا الأمن المركزى الذى أهانهم كثيرا .. تحدوا خوفهم .. وبثباتهم وتكاتفهم شجعوا العديد من البشر على الثبات والصمود . حتى فازت مصر بالمباراة .

وكعادة فرد الأولترا ، لم يعلنوا عن أنفسهم .. لم يتباهوا بما صنعوا .. فاز فريقهم فشجعوه بعد المباراة بحرقة ... ثم عادوا إلى بيوتهم آمنين ، هادئين ، كمن لم يفعل أى شئ .

لقد سعدت بهم كثيرا كثيرا، سعدت بتواجدهم المؤثر داخل ميدان التحرير وأمام مسجد القائد إبراهيم

بالإسكندرية، وغيرها من الأماكن التى اشتعلت بها الثورة فى ذلك الوقت ... واتساقا مع حالة الفوران التى مر بها كل من يملك قلما فى مصر ، كان لزاما على أن أشارك مصر فرحتها بأبنائها وأكتب عن المشاركة الفعالة للمجموعات التى كتبت عنها روايتى تلك قبل عام ، مجموعات الأولتراس، شاكرا إياهم على جهدهم المنظم فى الدفاع عن كرامة الوطن .